

وقفت على المحطة.. لا أنتظر القطار  
ولا عواطف الخبيثة في جماليات شي، ما بعيد،  
بل لأعرف كيف جنّ البحر وانكسر المكان  
كحجرة خزفية، ومتني ولدت وأين عشت،  
وكيف هاجرت الطيور الي الجنوب أو الشمال.



محمود درويش

طاقم شؤون المرأة

معاً من أجل التحرير... معاً من أجل بناء الوطن

# صوت المرأة

2008

صحيفة تصدر كل اسبوعين تعنى بقضايا المجتمع

MAY NO 289

أيار العدد ٢٨٩

## صوتنا

### ستون عاماً من التطهير العرقي

في الوقت الذي تحتفل فيه الدولة الإسرائيلية بالعيد الستين لمولدها، يحيي الفلسطينيون في كافة أماكن تواجدهم داخل فلسطين وفي الشتات ذكرى النكبة، ومعهم أيضاً أحرار العالم وكل صاحب ضمير حي. إن هدم أكثر من ٥٠٠ قرية وبلدة فلسطينية وتهجير أكثر من ثلثي السكان من أرض فلسطين التاريخية من أجل إقامة دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨، ما هي إلا عملية تطهير عرقي مخطط ومدروس. وقد قدم المؤرخ الإسرائيلي إيلان بابيه في كتابه عن التطهير العرقي للفلسطينيين شواهد وأدلة قاطعة لما حدث في تلك الفترة معتبراً أن التطهير العرقي جريمة ضد الإنسانية، والذي يقومون به هم مجرمون، وجبت محاكمتهم في محاكم خاصة.

الفلسطينيون الذين حملوا مفاتيح بيوتهم طوال ستين عاماً لم ينسوا ما اقترفته القوات الإسرائيلية من تطهير عرقي للعرب الفلسطينيين ولم يفقدوا الأمل كما أنه من الواضح أنهم لن يفقدوه، وحتى لو حاولوا النسيان فإن مفاتيحهم سوف تظل شاهداً لما ينتظرهم، كما أن ظروف اللجوء تذكر باستمرار بأنهم لاجئون وسيظلون لاجئين طالما أنهم خارج الوطن.

التطهير العرقي مستمر. وهو كما يسميه بابيه عملية مخططة تم تجاهلها بتخطيط متعمد. وهي جريمة تجب مواجهتها سياسياً وأخلاقياً. واستمرار الاستيطان ما هو إلا مظهر آخر للتطهير العرقي وهذا ينطبق أيضاً على الجدار الذي يبتلع الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية حارماً أصحابها الفلسطينيين منها بالقوة.

في ذكرى النكبة، شهدت الأراضي الفلسطينية أشكالاً مختلفة من التضامن الدولي أبرزها كان زيارة وفد من الأدباء والأديبات يمثلون أكثر من دولة جاءوا جميعاً للتضامن مع الشعب الفلسطيني في ذكرى نكبته. استمعوا إلى الرواية الفلسطينية والى المعاناة في حياة الفلسطيني اليومية والجوانب الإنسانية وقصص الصمود لشعب يرفض الخضوع، ورأوا ما أخفاه الإعلام الذي طالما أخذ جانب القوي حتى وإن كان على غير حق.

ستون عاماً وما زالت إسرائيل تمارس التطهير العرقي للشعب الفلسطيني بطريقة منتظمة ومخطط لها، لكن إصرار الفلسطيني على هويته وعلى ثقافته وتراثه يزداد يوماً بعد يوم في أماكن الشتات وفي فلسطين. وقد أبدع الفلسطينيون طرقاً مختلفة للدفاع عن هذه الهوية والثقافة والتراث كنوع من الدفاع عن كينونتهم وعن أملهم الذي لا يتحقق إلا بحلم العودة والدولة المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس.



أم شهيد وثلاثة أسرى وجريح ولاجئة..

## نادية فرحات: الأحران تبقى كبيرة..



جنين: عبد الباسط خلف

كل شيء في تفاصيل السيدة نادية قاسم فرحات (٤٥ عاماً)، يُدل على الألم المُركب: تجاعيد في الوجه، اصفرار، عيون دامعة، جسد نحيل، ملامح مصابة بالحزن. فيما يسيطر السواد على ألوان ملابسها. هي أم لشهيد وثلاثة أسرى وجريح، عاشت أربعة عشر يوماً في قلب مخيم جنين، إبان مجزرة نيسان ٢٠٠٢، حين رفضت مغادرة منزلها، وأصررت على البقاء قريبة من أولادها الذين انضموا لصفوف المقاومة.

تروي وكان الدموع شريكة في حديثها المتقطع: «ابني محمد استشهد الساعة خمسة الصبح، دق جارتنا باب الدار، وقال لنا بصوت عال: ابنكم استشهد...». إذ شعرت بأن شيئاً ساخناً سُكب علي، حاولت الركض، وأنا حافية القدمين، لكنني أحست بأنني ممسومة في مكاني.

آثار باقية

تواصل حديثها: «رحت على المستشفى، وفتحت ثلاثة الموتى، وحضنت محمد». كان دمه ساخناً عندما عانقته، وما زلت أحتفظ بملابسه المزوجة بدمه، إلى اليوم، ولأفكر في الإستغناء عنها أو غسلها.

تصر أم العبد على الاحتفاظ بكل مقتنيات ولدها: جل الشعر، وشفرات الحلاقة، والملابس، وأشرطة الموسيقى التي كان يحب سماعها، وكل شيء تقريباً من أثره كما تقول. أما البيت فهو كمعروض للصور التي تستذكر محمد الذي استشهد خلال مواجهات مع الاحتلال فجر الثاني من حزيران ٢٠٠٧.

تفصل: ابني سامر أصيب مرتين: الأولى خلال مجزرة المخيم، حيث أمضى ١٤ يوماً في موت سريري، والثانية قبل شهر تقريباً، يوم خرجت أمعاؤه من مكانها، وعاش لحظات قاسية، أما عبد فاعتقل مرتين، وسجن لسنتين، وينتظر المحاكمة، وفقد عينه اليسرى جراء الإصابة، وولدي أمين أسير سابق.

### ذكريات الدم

مما لا تنساه أم العبد، لحظات قاسية عاشتها وبناتها الثلاث، يوم قررت البقاء في بيتها في مخيم جنين، الذي تعرض لعدوان ومجزرة، وشاهدت قسماً منه وهو يتهاوى بقذائف الاحتلال الثقيلة.

تروي: «كنا نشوف الصواريخ وهي تسقط قرب بيتنا، وانبطحنا على الأرض معظم الوقت، لم يكن لدينا ماء ولا طعام، واستخدموا زوجي درعا بشرياً، أما جنود الاحتلال فكانوا يضعون أسلحتهم في ساحة المنزل، ويمضون فيه فترات استراحة».

ما أن خرجت السيدة نادية من منزلها، إلا وشاهدت أشلاء ممزقة قرب بيتها، وبيوتاً مهدمة. أول الشهداء الذين تعرفت عليهم، المسعفة رفيدة الجمال، التي سقطت قريباً من دوار المستشفى، ثم بدأت تتعرف على آخرين.

كانت في حالة صعبة هي وبناتها، فالغبار يحتل وجهها، والعطش يلاحقهم، والأهم الخوف على أولادها. وعندما رأت سيارات إسعاف، أسرعت إليها وطلبت الماء. تقول: كل جثة كنت أشاهدها، كنت أفحصها، حتى أتأكد أنها ليست لواحد من أبنائي، وحينما كانت أقابل أحداً أسأله عن مصير أولادي، فعرفت أن اثنين منهم بخير، أما الثالث سامر فتعرفت عليه في المستشفى.

ترسم فرحات صورة مختلفة لحادثة استشهاد ابنها، وتكرر للضيوف طريقة استشهادها، وتنقل إليهم بعضاً من صفاته، إذ كان يحرص على صحتها كثيراً، فيحضر لها الطبيب إذا تعبت، ويساعدها في الكثير من المسائل.

تحرص على ممارسة أحزانها على طريقته، فتخفي نفسها وهي تبكي، وتحضر ملابسها المزوجة بدم ابنها، لتشتتم رائحتها، وتعيد استذكار مواقفها مع محمد.

وتخلط بين أحلامها بعودته ورواية استشهادها، وتصر في الوقت نفسه على ممارسة الحداد بأسلوبها، فهي إلى اليوم ترتدي العباة السوداء، وتزور قبره.

تقول: نتذكر محمد وعبد إذا ما طبخنا أوراق العنب والمقلوبة، فقد كانا يحبناها كثيراً. عند البحث في خصوصية العلاقة بين السيدة نادية وأولادها، نكتشف أنها جاءت إلى الدنيا وثلاث شقيقات بدون إخوة، فصارت تعوض عن هذا النقص بأولادها الذين عاملتهم كإخوة وأصدقاء وأبناء في الوقت نفسه.

### تشخيص

تفيد الأخصائية الاجتماعية هما أبو الرب: بدأنا في مركز علاج وتأهيل ضحايا التعذيب في متابعة القضية، منذ لحظة استشهاد ابنها. اكتشفنا أن صدمة الفقدان تسيطر على كل تصرفاتها. لكنها لم تفتح قلبها بسرعة، فعملنا على بناء جسور الثقة معها، إلى أن بدأت تكسر حاجز الصمت. تتابع: تعاني أم العبد من آثار الصدمة بشكل حاد، وتشكو قلة النوم، وتفقد الشهية، وتميل إلى الانطواء، وفقدت كثيراً من وزنها.

تقول: منحناها تفريغاً نفسياً، وأعدنا تكييفها، وبدأت تتأقلم شيئاً فشيئاً، لكنها تعاني الاكتئاب الحاد، وتعيش أزمة نفسية واجتماعية، وتعيش الماضي المؤلم وما بعد الصدمة، فتشد على أسنانها خلال الحديث، وتتحرك بسرعة، ويبدو الخوف مسيطراً على مشاعرها.

فهي لا تمنح الإجابة على كل الأسئلة، وتتردد في بعضها، ولا تسرع في بناء الثقة مع من تقابلهم إلا بعد تكرار المحاولة، وترفض أن يلتقط لها أحد صوراً. توالي: نخطط لإخراجها من ضاقتها النفسية، لكن ظروفها الاقتصادية القاسية، وحرمانها من زيارة ابنها الأسير عبد، لدواع أمنية، منذ اعتقاله، وأحزانها الطرية والمتشعبة تطيل الطريق علينا بعض الشيء. تنهي: ربما لا تمتلك السيدة نادية الوقت لأن تتذكر مسقط رأس عائلتها في زرعين، فهناك ما يمنحها.

## إحصاءات

## إحصاءات في الذكرى الستين للنكبة

غزة - ماجدة أحمد

### الكثافة السكانية

نكبة فلسطين حولت قطاع غزة إلى أكثر بقاع العالم اكتظاظاً بالسكان، فقد بلغت الكثافة السكانية في فلسطين التاريخية العام ١٩٤٨ حوالي ٧٣ فرداً/كم<sup>2</sup> من العرب واليهود مقابل حوالي ٣٨٩ فرداً/كم<sup>2</sup> في العام ٢٠٠٧، فيما بلغت الكثافة السكانية في الأراضي الفلسطينية في نهاية العام ٢٠٠٧ حوالي ٦٢٥ فرداً/كم<sup>2</sup> أما في إسرائيل فبلغت الكثافة السكانية في العام ٢٠٠٧ حوالي ٣١٧ فرداً/كم<sup>2</sup> من العرب واليهود.

### الاستيطان

الغالبية العظمى من المستوطنين تقيم في القدس بغرض تهويدها، ومعظم المستوطنين يسكن محافظة القدس، وتشير البيانات إلى أن عدد المستوطنين الإسرائيلية في الضفة الغربية قد بلغ ١٤٤ مستوطنة وذلك في نهاية العام ٢٠٠٧.

كما وتوضح التقديرات الأولية إلى أن عدد المستوطنين في الضفة الغربية قد ارتفع إلى نحو نصف مليون مستوطنة، وذلك في نهاية العام ٢٠٠٧. ويتضح من البيانات أن معظم المستوطنين يسكن محافظة القدس بنسبة ٥٤,٦٪ مستوطن، منهم ٤,٢٪ مستوطن في ذلك الجزء من محافظة القدس الذي ضمته إسرائيل عنوة بعيد احتلالها للضفة الغربية في العام ١٩٦٧.

فيما يلتهم جدار الضم والتوسع نحو ١٥٪ من مساحة الضفة الغربية وقد تضرر نتيجة بناء الجدار في الضفة الغربية خلال الفترة من ٢٠٠٣ - ٢٠٠٦. ٨٠.٢٠٠٦ محافظات تشمل ١٥٩ تجمعاً، كما ارتفع عدد التجمعات المتضررة إلى حوالي ١٨٠ تجمعاً.

من الفلسطينيين بعد العام ١٩٤٩ حتى عشية حرب حزيران ١٩٦٧ «حسب تعريف وكالة الغوث للاجئين» ولا يشمل أيضاً الفلسطينيين الذين رحلوا أو تم ترحيلهم العام ١٩٦٧ على خلفية الحرب والذين لم يكونوا لاجئين أصلاً. وقد قدر عدد السكان الفلسطينيين الذين لم يغادروا وطنهم العام ١٩٤٨ بحوالي ١٥٤ ألف مواطناً، في حين يقدر عددهم في الذكرى الستين للنكبة بحوالي ١,٢ مليون نسمة بنسبة جنس بلغت حوالي ٣٠١,٧ ذكر لكل مائة أنثى، ومتوسط حجم الأسرة ٤,٧ فرد. وبلغت نسبة الأفراد أقل من ١٥ سنة حوالي ٤٠,٢٪ من مجموع هؤلاء الفلسطينيين مقابل ٣,٢٪ منهم تبلغ أعمارهم ٦٥ سنة فأكثر، ما يشير إلى أن هذا المجتمع فتي كامتداد طبيعي للمجتمع الفلسطيني عامة.

وتشير نتائج التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠٠٧ إلى أن عدد السكان في الأراضي الفلسطينية بلغ ٣,٧٦ مليون نسمة في ١/١٢/٢٠٠٧ منهم ٢,٣٤ مليون في الضفة الغربية وحوالي ١,٤٣ مليون في قطاع غزة. من جانب آخر، بلغ عدد السكان في محافظة القدس حوالي ٣٦٣ ألف نسمة في العام ٢٠٠٧، حوالي ٦٠٪ منهم يقيمون في ذلك الجزء من المحافظة والذي ضمته إسرائيل عنوة بعيد احتلالها للضفة الغربية في العام ١٩٦٧. كما أشارت بيانات العام ٢٠٠٧ إلى أن ٤٦,٤٪ من السكان الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية لاجئون (حوالي ١,٧ مليون لاجيء)، يتوزعون بواقع ٣١,٠٪ في الضفة الغربية، و٦٧,٦٪ في قطاع غزة.

وتعتبر الخصوبة في الأراضي الفلسطينية مرتفعة إذا ما قورنت بالمستويات السائدة حالياً في الدول الأخرى، فقد وصل معدل الخصوبة الكلية العام ٢٠٠٦ في الأراضي الفلسطينية إلى ٤,٦ مولود، بواقع ٤,٢ في الضفة الغربية و٤,٤ في قطاع غزة.

بلغ عدد الفلسطينيين في العام ١٩٤٨ ١,٤ مليون نسمة، في حين قدر عدد الفلسطينيين منتصف العام ٢٠٠٨ بحوالي ١,٠ مليون نسمة، وهذا يعني أن عدد الفلسطينيين في العالم تضاعف منذ أحداث نكبة ١٩٤٨ مر ٧٥ مرة.

أما فيما يتعلق بالفلسطينيين المقيمين بين النهر والبحر فإن البيانات الصادرة عن مركز الإحصاء الفلسطيني تشير إلى أن إجمالي عدد الفلسطينيين المقيمين في فلسطين التاريخية بلغ نهاية العام ٢٠٠٧ حوالي ٥ ملايين نسمة مقابل نحو ٥ مليون يهودي، وفي ضوء المراجعة الجديدة لعدد السكان، بناء على نتائج التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠٠٧، فإنه من المتوقع أن يتساوى عدد الفلسطينيين واليهود بين النهر والبحر بحلول العام ٢٠١٦.

وتبين المعطيات الإحصائية أن نسبة اللاجئين بين الفلسطينيين تصل إلى ما يزيد على نصف عدد الفلسطينيين في العالم بقليل، وهي تعكس ذاتها تقريباً في الوجود الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية، فحسب سجلات وكالة الغوث لنهاية العام ٢٠٠٧، بلغ عدد اللاجئين في كل من الأردن وسورية ولبنان والأراضي الفلسطينية حوالي ٤,٦ مليون لاجيء فلسطيني مسجل يتوزعون بواقع ٤٢٪ في الأردن و ١٠٪ في سورية، و ٩٪ في لبنان، وفي الضفة الغربية ١٦٪، وقطاع غزة ٢٣٪، يعيش حوالي ثلثهم في ٥٩ مخيماً تتوزع بواقع ١٠ مخيمات في الأردن و ١٠ في سورية، و ١٢ مخيماً في لبنان و ١٩ مخيماً في الضفة الغربية، و ٨ مخيمات في قطاع غزة.

وحسب تقديرات الوكالة ذاتها يصبح عدد اللاجئين بعد ٦٠ عاماً على النكبة يزيد على نصف الفلسطينيين في العالم ولا يشمل من تم تشريدهم

## شاهدة النكبات!!

بسام الكعبي

بذاكرة متماسكة وصوت خافت يسكنه سمع ضئيل، أعادت المسنة حسبية إعمار من مخيم الأمعري حزن اللحظات القاتلة في حياتها عندما غادرت منزلها في قرية المالحة جنوب غربي القدس تحت تهديد السلاح: «ما زال جثمان الشاب نعمان من بلدة الجاروشة المجاورة وهو ملقى على عتبة بيتنا يحتل ذاكرتي، وكان قد وصل بلدتنا للمساعدة على إجلاء الأهالي بعد اشتداد عدوان المنظمات الصهيونية، وواجه الشاب قدره بطلقة استقرت في صدره».

أسندت جسدها النحيل على سريرها المتواضع وتابعت روايتها: «كان زوجي ضريباً وبمساعدة الأقرباء تمكنت من جمع احتياجات بسيطة لأطفالي الأربعة وحملتهم على بهيم واتجهت شرقاً إلى بيت جالا، ومكثنا في أطرافها مدة عام ثم انتقلنا إلى قرية ترمسعيًا شمال رام الله، ومع الإعلان عن بدء تجميع اللاجئين في المخيمات انتقلنا إلى الأمعري بجوار مدينة البيرة». أطل صوت حسبية صارخاً للمرة الأولى مع نهاية الحقبة التركية وغزو قوات الاحتلال البريطانية فلسطين العام ١٩١٧ وعاشت أشهراً قليلة تحت الاحتلال العثماني، لكنها أكملت ثلاثين عاماً تحت الاحتلال البريطاني حتى رحيلها عن فلسطين، ثم تابعت حسبية حياتها تحت الوصاية الأردنية عقب إعلان المملكة الهاشمية ضم الضفة الغربية للإمارة شرق النهر، وأكملت يومياتها تحت الاحتلال الإسرائيلي الذي طاردها مجدداً إثر هزيمة حزيران ١٩٦٧ وتابعت حياتها الاعتيادية في ظل السلطة الوطنية عقب تسلمها للمدن بعد توقيع اتفاقيات أوسلو العام ١٩٩٣ ثم عودة المحتل الإسرائيلي من جديد لاجتياح مناطق السيادة الفلسطينية منذ خمس سنوات. عبر هذه المحطات التاريخية السريعة من عمرها تكثف الحاجة حسبية زمن النكبات، وقد تكون الآن أطول معمرة بين اللاجئين بعد مرور أكثر من واحد وتسعين عاماً على صرختها الأولى... تمتلك ذاكرة جيدة وتروي بتفاصيل دقيقة اللحظات الحاسمة التي غيرت مجرى حياتها وسلمتها كلاجئة للشثات والانتقال القسري من مكان إلى آخر طوال ستين عاماً مضت.

أنجبت حسبية أربعة من أطفالها قبل هجرتها القسرية وهي شاهدة الآن على أجيال من أحفادها، كانت حريصة وما زالت طوال سنواتها الستين الأخيرة على تلقين أبنائها وأحفادها التاريخ الشفوي الدامي لأبشع تطهير عرقي شهدته البشرية في عصرها الحديث، وكانت حريصة دوماً على وثائقها العثمانية التي تؤكد حقها في ملكية الأرض.

قبيل وداعها ومغادرتها بيتها لاستكمال جولة صحافية نظمها وزارة الإعلام برفقة غالب البس مدير المخيم ويونس أبو الريش مدير مركز الشباب، أطلت الكاميرات بحزن على حفيدها الشاب أحمد إعمار الذي يستلقي على سرير متواضع بجوارها عقب إصابته بنيران الاحتلال سلمت أطرافه إلى شلل نصفي منذ الانتفاضة الأولى، فيما زرع رصاص المحتل نفسه البلاتين في ساقه شقيقه حسين.. هل يسقط الرهان «التاريخي» على موت جيل النكبة ونسيان الأجيال المتعاقبة لقصيتهم المشتعلة؟

في الجولة الخاطفة لأيقونة النكبة (المخيم) باعتباره أيضاً المصدر الأولي للحكايات الشفوية والتوثيق المادي للاقتلاع والتهمير والتطهير، أطل الإعلاميون والإعلاميات على نصب للشهداء بخلد ذكراهم، وقد سقط معظمهم يافعاً برصاص المحتل خلال الانتفاضة الأولى والثانية. في الأزقة الضيقة للمخيم الذي لا تزيد مساحته على مائة دونم تتبلع سبعة آلاف لاجئ، بدأ الإيقاع واضحاً في الأمعري بكافى جميع مخيمات الشثات في كل الأمكنة: إن حكايات النكبة تورث كالأرض جيلاً بعد جيل، وما يعزز الإيمان بقوة الحق أن الشبان الصغار أكثر تمسكاً بحق عودتهم إلى قراهم التي شهدت تهجير أسلافهم بالعنف.. وقد بدأ ذلك واضحاً في إحياء السنوية الستين للنكبة عبر طغيان أجيال فتية صغيرة على المشاركة بكل الفعاليات الوطنية داخل الوطن وخارجه وتجديد تعريف هوياتهم مقترنة بأسماء ٥٣١ قرية تمت إبادتها وترحيل أجدادهم عنها.

تماسك الحق في المخيم يدلل على أن حق العودة مقدس غير قابل للتفاوض، والمدش أن الشبان الصغار يرفعون عاليًا هوياتهم القديمة مركزين عليها بنحت شهادات ميلادهم وتسلسل أسماء عائلاتهم.. بتزايد الفتيان بحق عودتهم تتضح الرؤية أكثر بعمية ثبات أي حل متوازن للقضية الوطنية يتجاوز حقوق اللاجئين، ولن تمر أية اتفاقيات سرية أم علنية تقبر حقهم في العودة بل ربما تشكل علامة سلبية فارقة في تاريخ من يجرو على مهرها.



هموم نسوية في ذكرى النكبة

## قضايا النوع الاجتماعي ضحية الخلافات السياسية

زلفى شحرو

في الأحزاب والقوى الديمقراطية والعلمانية. والنقاشات الدائرة فيها الكثير من الديماغوجيا بالقول إن النساء أكثر تحسناً لقضايا مبدئية من نوع حق العودة والمفاوضات والاعتراف بإسرائيل، لأن تراجع دور النساء له علاقة بالوعي المجتمعي الحقيقي المحافظ والمتدين والمقاطع في الكثير من جوانبه مع أفكار هذا الاتجاه الأصولي والنساء هن الأكثر تعبيراً عنه.

تراجع دور النساء داخل القوى الديمقراطية له علاقة بتراجع دور القوى والفصائل نفسها، وخاصة انضمام أجيال شابة إلى صفوف هذه التنظيمات، إضافة إلى استقطاب منظمات العمل الأهلي للنساء وعلى الأخص اليساريات منهن، ما خلق نمطاً جديداً للنضال على قضايا النوع الاجتماعي مدفوع الأجر وعلى مقاسات وأجندات وتوجهات دولية رغم عدم تعارضها مع التوجهات العامة التي آقرتها فلسطين في قانونها الأساسي ما يعزل أصحاب هذه الأفكار في دائرة ضيقة غير فاعلة، ويخلي الساحة للاتجاه الأخر.

وأي نقاش لتراجع هذا الدور عليه نقاش موقف حركة فتح الفصيل الأكبر من قضايا النوع الاجتماعي، حيث تغيب الرؤية داخل هذه الحركة التي اتخذت قيادتها من لحظة نشأتها قراراً يسمح لكل عضو بتبني الأفكار التي يقتنع بها طالما أنه يلتزم الكفاح المسلح وتوجهات الحركة السياسية. وانطلاقاً من هذه الفكرة نشأت داخل الحركة اتجاهات فكرية مختلفة من الإخوان المسلمين إلى اليساريين بتوجهاتهم الاجتماعية تجمعهم وحدة الهدف والغريب أن هذه الاتجاهات لم تتصارع على توجهاتها الاجتماعية بل تصارعت على توجهات سياسية ومناطية.

غياب الرؤية لقضايا النوع الاجتماعي داخل حركة فتح، غيب فعلياً النضال حولها بتغييبها عن البرنامج السياسي للتنظيم، وظلت قضية النوع الاجتماعي محكومة بمنطق الحاجة ولم يخل الخطاب السياسي عن تعظيم هذا الدور دون أن يعبر عنه بمرکز ومواقع في القرار السياسي للحركة.

غياب الرؤية لقضايا النوع الاجتماعي عند أكبر فصيل فلسطيني قاد النضال على مدار هذه السنوات الطويلة ساهم بتسيخ المفاهيم الاجتماعية المختلفة بصيغة دينية بين الجمهور الفلسطيني رغم مشاركة النساء في كل معاركه السياسية والعسكرية بصورة فاعلة، على عكس الاتجاهات الدينية التي غيبت دور النساء السياسي والعسكري وكرست دورها الاجتماعي والدعاوي على ذات أرضية الوعي الاجتماعي والديني السائد وغير المتصادم بالمجتمع فوجد استجابة حقيقية له خاصة في صفوف جمهور النساء بما فيهن الفتاويات خاصة مع دخول حركة فتح في تنافس مع حماس على العمل العسكري والعمليات الانتحارية. القوى اليسارية والعلمانية وحركة فتح لم تواجه هذا الاتجاه الأصولي بعمل مجتمعي وجماهيري يوازيه، بل تركت الساحة فارغة، بعد توجه عضوات هذه الفصائل نحو العمل الحكومي وبناء المؤسسة الرسمية بعد تأسيس السلطة الوطنية.

ورغم الوعي بوقوف النساء وراء نجاح حماس، إلا أن العمل لمواجهة هذا التمدد الحمساوي ما زال ضعيفاً وتغيب البرامج والجهود لتأطير جهود النساء على أرضية فعل ديمقراطي ينطلق من حق الفرد المطلق بحرية الاعتقاد على قاعدة احترام وحل الخلافات داخل المؤسسة الشرعية وبصورة ديمقراطية تؤمن التداول السلمي للسلطة على قاعدة احترام المؤسسة الشرعية.

سنوات وسنوات تمر وليل النكبة يطول، والشعب الفلسطيني لم يفقد يوماً الأمل بالعودة، ولم يفقد الثقة بعدالة قضيته. الشعب الفلسطيني لم ينتظر طويلاً، واعتمد على قواه الذاتية في تحقيق حلم العودة إلى الأرض، وساهم تصاعد المد القومي العربي في تذكية الروح القومية عند الشعب الفلسطيني، بعد أن فقد الأمل بفعل عربي عسكري. الفلسطيني لم ينتظر، فجر الثورة الفلسطينية المعاصرة التي حولت القضية الفلسطينية من قضية لاجئين إلى قضية شعب يدافع عن حقه في تقرير مصيره، ورفع القضية الوطنية في رمزيتها إلى مستوى القداسة عند العرب ودعاة وأنصار الحرية والتقدمية في العالم.

الفلسطينيون في مساهمهم الطويل والمضني والذي لم يصل بعد إلى نهاياته قدوموا على هذا الطريق عشرات آلاف الشهداء والجرحى والمعاقين، وآلام وجروح أجيال متتالية ما زالت ندية. واليوم وبعد ستين عاماً من النكبة ما زال الفلسطينيون يقاومون بصورة شعبية واسعة الظلم الواقع عليهم، ولم تتخل الأجيال الفلسطينية في الشتات والمهاجر والوطن عن حلمها بالعودة إلى أرض الوطن. وفي ثانياً هذه العملية تركت النساء بصمات واضحة لهن بدءاً من تشكيل رواية فلسطينية عن النكبة، رسمن فيها صورة للفلسطيني الضحية، وصورة للوطن تشابه في بهائها وجمالها صورة الجنة المبتغاة وحرصن على النضال من أجل العودة إلى الأرض الحلم. ولم تشهد أية مرحلة من مراحل النضال تراجعاً في دور النساء الفاعل كما هي الحال بعد الانقسام الفلسطيني، حيث وقفت المرأة موقف المتفرج وهي التي ساهمت ولعبت دوراً في الحفاظ على تماسك ووحدة المجتمع الفلسطيني في مختلف سنوات الكفاح الماضية.

تطور دور المرأة في العملية النضالية مع تطور أدوات الكفاح والفعل الفلسطيني المقاوم وساهمت النساء بصورة فاعلة في نضال الفصائل والتنظيمات الفلسطينية في كافة مجالات النضال بما فيها الكفاح المسلح الفلسطيني. وكانت القضايا المتعلقة بحقوق النوع الاجتماعي موضع نقاش، وواحدة من أسس تقييم مستوى تقدمية الشخص أو التنظيم، وخاصة في الفصائل ذات الصبغة اليسارية والعلمانية، ولم تكن هذه القضايا موضع خلاف وإن اختلفت مستويات الوعي لهذه القضايا وغابت فرص تحقيقه داخل التنظيم بسبب احتكام الفلسطينيين في الخارج لمنظومة القوانين التي تحكم البلد المضيف.

ورغم المواقف المتطورة نسبياً لفصائل منظمة التحرير من قضايا المرأة عن المجتمع الفلسطيني في كافة تجمعاته، إلا أن التعامل الفعلي مع هذه الجهود والقضايا النسوية كان موسمياً ومحكوماً بمنطق الحاجة وما زالت هذه العلاقة قائمة على هذه الأسس حتى اللحظة، ففي المعارك تعلق الأصوات للمطالب بجهودهم ودورهم وتخبو هذه الدعوات مع انتهاء المعارك. واكتسب النضال على قضايا النوع الاجتماعي مضامين وأهدافاً جديدة بعد تأسيس السلطة الوطنية، سواء على المستوى القانوني أو على مستوى المشاركة في القرار السياسي، وحقت النساء انتصارات على الصعيد القانوني والمشاركة في القرار السياسي.

وفي مقابل الجهود المجتمعية والنسوية على قضايا النوع الاجتماعي مستفيدة من موقف المستوى السياسي والتشريعي الإيجابي من هذه القضايا بصورة عامة، كان يعمل في مقابله تيار سياسي أصولي له موقف سلبي من قضايا النوع الاجتماعي، والمساواة وتمكين النساء من المشاركة في القرار السياسي وشكل هذا الاتجاه تهديداً لهذه المكاسب مع وصوله إلى السلطة. والمفارقة الأبرز في هذه المعارك ذات الطابع السياسي في الأصل انحياز نسوي واضح لصالح الاتجاهات الأصولية. وهو ما طرح الكثير من الأسئلة والنقاشات التي يتم تداولها اليوم في صفوف الحركة النسوية عن أسباب هذا الموقف من جهة وعن تراجع دور النساء وأدائهن

# الفنانات التشكيليات الفلسطينيات يندمجن إنسانياً في العالم

## تحسين يقين

آثار النكبة والقضية الفلسطينية على تعبير الفنانات في فلسطين في مواضيع الشتات والذاكرة والحنين والاندماج. ويمكن ملاحظة أثر المكان والمرحلة العمرية في التعبير. حيث تخف حدة التذكر وتدايعاتها لدى الأجيال الجديدة والمغتربة. بينما تزيد لدى الأجيال القديمة والمقيمة في الدول المجاورة لفلسطين أو في الدول العربية بشكل عام.

إن قياس مدى التعبير موضوعياً وفنياً لدى الأجيال المختلفة، له دلالة على وجود الاهتمام بالقضية الفلسطينية على مستوى إنساني وسياسي، وثقافي لدى الأجيال، حتى وإن خف لدى شريحة منهن عن غيرهن، كذلك فإن الاندماج مع مكان الإقامة الجديد، له مبرراته وقوائمه.

وانتماء الفلسطيني/ة للمكان الجديد، لا يعني عدم تمسكه بمكانه الأصلي، ولا يعني عدم طموح الأجيال المغتربة (أبناء المهاجرين) للعودة إلى الوطن السليب أو على الأقل زيارته.

لقد تميزت النساء بالمشاركة وكان وعيهن شديداً في المواضيع المطروحة، كما لم تغفل المرأة الفنانة الجوانب الاجتماعية والأسرية والنفسية للإنسان والمرأة جراء النكبة والشتات. كما لم تغفل وجودها في عالم آخر جديد وعصر جديد.

إنها مرونة وقدرة على الانسجام مع الذاكرة والحقوق، ومكان العيش الجديد وما فيه من متطلبات وضرورات التعبير واثبات الانتماء لعالم الفن، وعدم التنميط أو التحديد ضمن موضوع الوطن.

وكما استلزمت مرحلة الذاكرة والحنين وجود مذهب تصويري واقعي ورمزي حسب المكان، فقد استلزم المراحل الأخيرة وجود مذاهب الفن المعاصر انسجاماً مع العصر، وليس هذا ما يؤثر سلباً على تناول الفنانات للموضوع الفلسطيني، بل إن استخدام مذهب معاصر وتقنيات حديثة منحت الموضوع الفلسطيني حيوية وجواز سفر آخر للتواصل مع العالم.

لقد استطاع الشعب الفلسطيني البقاء، واستطاعت المرأة المبدعة البقاء والمقاومة لكل أشكال النفي والاستلاب، وظلت ذاكرتها متوهجة تنتقل من جيل إلى جيل. كما استطاعت النجاح في التعبير عن مكانها الجديد، فالإخلاص للوطن الأصلي دفعهن أيضاً إلى محبة المكان الجديد والاندماج الإنساني فيه.

والشكل معاً، ما يقود إلى دلالات مهمة في حالة التفاعل المزدوجة مع المكان الأصلي (الوطن) ومكان الإقامة كوطن «بديل» أي إن حالة تمثل الوطن السليب لم تكن الفنانات عن الانتماء إلى الطارئ الجديد، فالإنسانية متحققة في الجانبين. فلم تأسر المرأة نفسها في نطاق حالة الوطن، بل بادرت إلى المحيط الجديد لتتفاعل معه غير مهملته خصوصيته، لتثبت ذاتها أحياناً فنياً وإنسانياً وعملياً وواقعياً من خلال معالجته، وفي المقابل لم يفتن المكان الجديد الفنانة عن بحثها عن أصولها الأولى، بكل ما يحمل من فكر وذكريات وميول.

ونفذت من جانب إلى آخر بتلقائية ورشاقة، فأبدعت في الخصوصية الجديدة متأثرة بحالتها الفلسطينية متأثرة بالمكان الجديد وما فيه من تداعيات.

يأتي هذا الموضوع من زاوية حالة الاندماج مع الوسط الجديد الذي تقيم فيه الفنانة الفلسطينية، من هؤلاء الفنانات اللواتي عبرن عن مواضيع لها علاقة بالمرأة وخصوصيتها كل من: رائدة سعادة، منال محاميد، سامية حليبي، ماري توما، منى حاطوم، سهى شومان، وهؤلاء الفنانات هن إما من فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨ مثل رائدة سعادة، ومنال محاميد، أو مغتربات مثل سامية حليبي، وماري توما، ومنى حاطوم، أو لاجئة مثل سهى شومان.

أي إن الفنانات البعيدات عن المكان هنا، كن أقرب إلى الاندماج مع القضايا التي يعيها الفلسطيني في مكان اللجوء، يشجعهن على ذلك، حرية التعبير في الخارج، ووجود مسافة بين الفنانة والقضية الفلسطينية تسمح بالدخول إلى مناطق جديدة في الإبداع.

فالفنانة الكسندرا حنضل تتحدث عن الحرية في بلاد الدومينكان مثلاً، وهذا يدل على اندماج الفنانة المغتربة مع الأحداث التي تعيشها خارج وطنها الأصلي. ويعزز حالة الاندماج مع المكان الجديد أن تكون الفنانة مولودة فيه، وتعيش ثقافته. كما أن الفنانات اللواتي عشن في الدول المختلفة، عبرن عن جماليات تلك الدول، وطبيعتها مثل أوفيمار رزق ورولا شقيري ورهام غضيب.

كذلك فإن الفنانات اللسطينيات داخل فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨ قد عبرن عن خصوصية المرأة والحياة هناك، فأحلام شبلي ومنال محاميد، ورائدة سعادة، وإيمان أبو حميد، وغيرهن عبرن عن حياة الفلسطينيين المقيمين في الداخل، وظهر في أعمالهن المهمشون والتفرقة وسوء الواقع. وهكذا يمكن رصد

بعد استعراض لبعض الأدبيات للفن التشكيلي الفلسطيني، واستعراض جزء من أرشيف الصحف، الذي يحتوي على عروض صحافية للمعارض الفنية التي أنجزت خلال السنوات الأخيرة، أمكنني تجميع مادة تصلح للبحث والتحليل، حيث دلت تلك المادة على تواجد واضح لفن المرأة الفلسطيني، جنباً إلى جنب مع فن الرجل.

وكنت قد درست تناول الفنانات الفلسطينيات لمواضيع الشتات والذاكرة والحنين، وخلال ذلك التناول، كنت أمس أن الفنانات لم يقفن عند مجرد التعبير عن آلام المكان والزمان، بل تجاوزن الألم والرتاء والحنين، والتذكر، إلى آفاق إنسانية، قد يكون ثبات الذات، أو حباً بالانتماء للوطن العالمي، حيث حرمن من وطنهن الصغير فلسطين.

وربما يعود ذلك للمراحل العمرية للفنانات المندمجات مع العالم، أو لطبيعة إقامتهن وتلقيهن العلمي. والذي ينسجم مع واقع حال الشعب الفلسطيني وما لذلك من دلالات.

إن ملاحظة المواضيع التي عبرت عنها الفنانات النساء سيقودنا بالتأكيد إلى التعرف على اتجاهات الوعي لديهن، خصوصاً في مواضيع قد تكون خاصة بفلسطين، مثل الشتات والذاكرة والنزاعات والهجرة وأخرى عامة، تتعلق بمدى اندماجهن في أمكنة إقامتهن الجديدة.. في الشتات.

ثمة مبرر موضوعي لاعتماد دراسة الفن التشكيلي لدى الفنانات الفلسطينيات كروايات للتعرف على اتجاهات الوعي والتعبير، خصوصاً إزاء قضايا المكان وخارجه.

وبعد استعراض سريع لاتجاهات الموضوع لدى الفنانات الفلسطينيات، نجد أنهن طرقت عدة مواضيع ومضامين متنوعة أي أنهن لم يتوقعن في حالة واحدة، بل شاركن في المواضيع التي عبر عنها الرجل، في المراحل السياسية والإنسانية التي مروا جميعاً بها، في فلسطين وخارج فلسطين.

وفي الوقت الذي اشتركت الفنانات الفلسطينيات في هذه المواضيع بشكل ملحوظ، كرد فعل طبيعي لحالة الوطن وتدايعاتها على أكثر من صعيد، فإن الفنانات لم يغفلن خصوصية مكان إقامتهن، حيث دلت التجارب على أنهن اندمجن بشكل ما مع واقعهن الذي وجدن أنفسهن فيه على مستوى المضمون

## عبر الدرجات الهوائية

# نساء عالميات يحيين النكبة مع الفلسطينين

## نابلس - عاطف دغلس

أن ينتهي الصراع القائم وأن يعود الفلسطينيون إلى أرضهم. من جهتها، أشارت سلمى سيفكي من تركيا والتي جاءت لدعم القضية الفلسطينية إلى أنها تزور فلسطين للمرة الثالثة، ولكن هذه المرة هي الأجل بنظرها لأنها جاءت بمشاركة نساء من مختلف دول العالم للوقوف إلى جانب الفلسطينين، ووصفت الفلسطينين بأنهم شعب صديق وصبور على ما يتعرض له من مصائب ونكبات. مؤكدة أنها ستوجه رسالة إلى شعبها للتصافير مع الفلسطينين والمجيء إلى فلسطين للتطوع في خدمة أهلها.

وأكدت سيفكي حق الفلسطينين في الحرية والعيش في وطنهم بكرامة، داعية بلادها لدعم عملية السلام في فلسطين.

## صورة مشوهة

الأردنية ندير وديع عبرت عن سعادتها بالمشاركة بمثل هذه المسيرات الداعمة لقضية فلسطين وقضايا السلام في العالم، وأشارت إلى أنها ستقل المعاناة الفلسطينية إلى المعنيين والمسؤولين في بلادها.

واتهمت ندير الإعلام عامة بالتقصير في نقل الصورة الفلسطينية الحقيقية كما هي، وأن العالم يفهم طبيعة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بشكل مختلف، أي كما تظهره إسرائيل وبالمنطق الذي تراه، لتحسين صورتها أمام العالم، ولذلك فإن اختيارنا للدرجات الهوائية للمشاركة بإحياء ذكرى النكبة بهذه المسيرة كان موفقاً لئلا الواقع الفلسطيني الأليم على طبيعته.

أما مريم العوري من فلسطين فلم تنطلق مشاركتها من فلسطين كما فعلت العشرات من الفتيات، وإنما بدأت معهن من حيث بدأت في سورية ولبنان والأردن أيضاً، ورأت أن هذه التجربة وهي الدرجات الهوائية بالنسبة للمرأة الشرقية مختلفة نوعاً ما، بحكم أنها جديدة، لكنها في الوقت ذاته أكدت أنها تجربة ناجحة حيث استطعن رؤية المعاناة الفلسطينية على حقيقتها.

وبيّنت العوري أن هدف المنظمة أساساً هو زرع فكرة السلام وتطبيقها بشكل كامل في فلسطين، وهدفها الأهم هو دعم فلسطين والدول المجاورة لها والتي تعدي عليها إسرائيل وإحلال السلام فيها.

وترأس المنظمة ديتا ريغن التي فازت بلقب امرأة أوروبا ورشحت لجائزة نوبل للسلام، وأنشئت المنظمة منذ خمسة أعوام، وترى أن النساء لديهن طرق أكثر تأثيراً في صنع السلام وإيصال معاناة الشعوب للعالم.

من لبنان إلى فلسطين مروراً بسورية والأردن، نساء شاركن بمسيرات عبر درجات هوائية، هدفن إلى إحلال السلام في الشرق الأوسط وفلسطين ونقل معاناة أهلها للعالم، وحنن من عدة دول أوروبية وعربية ومن فلسطين أيضاً. فقد شاركت قرابة مائة وستين امرأة من أكثر ثمان وعشرين دولة ضمن منظمة «اتبعوا النساء» العالمية في مسيرات عبر الدرجات الهوائية في مدن مختلفة من الضفة الغربية، حيث بدأت باريحا ورام الله ونابلس وانتهين بمدينة جنين.

وأوضحت المشاركات أن زيارتهن إلى فلسطين على وجه التحديد تأتي بعد زيارتهن عدة دول عربية منها لبنان وسورية والأردن، تضامناً مع الفلسطينين في ذكرى نكبتهم، خاصة وأن نشاطات المنظمة تقوم بالأساس على دعم القضية الفلسطينية وإحياء السلام فيها. وقد منعت إسرائيل دخول أكثر من مائة وخمسين امرأة من سورية وإيران ولبنان.

## رسائل للسلام

وأكدت النساء المشاركات أنهن تكبدن معاناة كبيرة على الحواجز الإسرائيلية المقامة على مداخل ومخارج المدن الفلسطينية والقرى وخاصة مدينة نابلس، والتي تحاط بما يزيد على عشرة حواجز ثابتة وأخرى متنقلة. وقالت ديتا ريغن (٥٥ عاماً) رئيسة المنظمة والتي تتخذ من بريطانيا مقراً لها: «نحن نؤمن أن للفلسطينيين حقاً بالعودة إلى أرضهم التي هجروا منها قسراً العام ١٩٤٨، ولذلك هم بحاجة إلى سلام آمن وشامل يعيشون فيه بحرية في بلدنا، وهذا حق كفلته لهم الشرائع الدولية».

وأكدت أن المشاركات سيجملن رسائل لبلدانهن حول الوضع الفلسطيني الذي رأيته على أرض الواقع وما يلاقه الفلسطينيون من الاحتلال، وضرورة دعم عملية السلام الفلسطينية.

ورفضت ريغن الحواجز التي تقيمها إسرائيل على حياة الفلسطينين، وقالت: «لا أعرف لماذا يضع الإسرائيليون الحواجز، فإسرائيل تحكم سيطرتها على المناطق الفلسطينية من خلالها حيث تصعب حياة الفلسطينين الذين يودون السلام ولديهم رغبة في ذلك».

واعتبرت ريغن أن المستوطنات التي تقيمها إسرائيل غير قانونية، داعية إسرائيل إلى إزالتها والتوقف عن بناء الجديد منها، وطالبت إسرائيل باتخاذ قرارات مهمة لإنجاح عملية السلام، ودعت أميركا إلى دعم عملية السلام، آملة



## الكبار يورثوا أحفادهم مفاتيح العودة وأوراق الطابو

غزة - فايز أبو عون



وأضافت الطفلة مها أن والدي الذي يُعلق في منتصف غرفة الجلوس مفتاح بيت والده وجده في قرية برقة، جعلنا أكثر تمسكاً بها من أي شخص آخر، كونه دائم الإشارة إلى المفتاح تارة، وإلى أوراق طابو الأرض التي يخفيها في صندوق صغير يحتوي على الأشياء الثمينة الخاصة به تارة أخرى حين يُخرجها في كل ذكرى للنكبة ليحكي لنا ما حفظه من قصص عن البلاد والعباد في ذلك الزمان. وأكدت مها لـ «صوت النساء» أن كلمة نسيان أرض الآباء والأجداد غير واردة في الحسبان بالمطلق، لأن عودتنا إلى أرضنا، بعد طرد اليهود عنها، هو الأمل الذي نعيش نحن من أجله، وستعيش الأجيال القادمة من أجله أيضاً، لأنه كالماء الذي نشربه، وكالهواء الذي نتنفسه. وأمام هؤلاء الزهراء الثلاث اللاتي جسدن معنى التمسك بالأرض، والعودة إليها مهما طال الزمن أم قصر، لا يمكن إلا أن نقول إنه لا يضيع حق وراءه مطالب، وبالتالي حق العودة من الحقوق الثابتة، التي لا تسقط بالتقادم، وغير القابلة للمساومة أو التفریط.

بالرغم من أن الطفلة هدى ابنة الخمسة أعوام، كانت تبدو للوهلة الأولى أنها طفلة عادية ككل الأطفال، إلا أنها في حقيقة الأمر لم تكن كذلك في نظر الكثيرين ممن رموها بنظرة إعجاب من جهة، وشفقة من جهة أخرى، بل كانت أشبه بدمية متحركة في جميع الاتجاهات، تجلس هنا تارة، وتقف هناك تارة أخرى، وتبتسم لزائر معرض التراث والصور هذا، وتدل زائرة المعرض تلك الطفلة هدى بسام الضاح، من سكان حي الزيتون بمدينة غزة التي كانت تشارك في احتفالات الخامس عشر من أيار، الذكرى الستين للنكبة، ترتدي الثوب الفلسطيني الفلاحي المزخرف والمزركش بخيوط من الحرير بأيد فلسطينية ماهرة، وترتبط رأسها بعصابة سوداء، حملت بين ذراعيها الرقيقتين لافتة كتب عليها «صغد.. مدينتي التي لا أتخلى عنها مهما طال الزمن أم قصر».

وحين اقتربنا منها لنسألها عما تحملها، قالت هدى لصوت النساء: «هذا هو اسم بلدي الأصلية التي هجر آباؤي وأجدادي عنها قسراً في العام ١٩٤٨»، مضيئة كثيراً ما يحكي لي جدي والدي عن بلدنا صغد، والأشجار التي كانت بها، مثل أشجار الزيتون والبرتقال والرمان والعنب. وأضافت على عجلة من أمرها قبل أن تتركنا وتنضم إلى زهرات وأشبال روضتها: «روضه الهدى الإسلامية»، لتقدم فقرات غنائية، وديكات شعبية، «والدي حكي لي أن اليهود احتلوا أرضنا، وطردهوا جدي وجدتي منها بعد أن استولوا على كل شيء فيها، وأنا بحب أرجع إليها، ولو أعطوني كل مصاري «نقود» الدنيا بتخلّش عنها، ولا عن ذرة تراب من أرضها». ولم تكن الطفلة أسيل حسن جبر ١٢ عاماً من سكان أبراج «عين جالوت» بمخيم النصيرات في محافظة وسط قطاع غزة، بأقل تمسكاً من هدى ببلدتها الأصلية «المغار» داخل أراضي عام ٤٨، قائلة لـ «صوت النساء»: «بالرغم من أن عيني لم تشاهد بلدتنا، إلا أنني أرى أرضها وسماءها وأشجارها بقلبي، وأتخيل عيني جدي، وقرن جدتي بذاكرتي، لأنها تعيش بداخلي لحظة بلحظة، تكبر في أكبر معها».

الطفلة أسيل التي ما إن عرفت أسباب اتصالي بها، وحديثي معها، حتى بدأت تسرد لي القصص والحكايات عن قريتهم، وعدد سكانها في ذلك الوقت، وما تزخر به بياراتها من فواكه وحمضيات، وموقعها على خارطة فلسطين، وما يدها من جميع الاتجاهات. وحين سألتها عن مصدر هذه المعلومات، أشارت إلى أن والدها الذي يُعتبر أحد نشطاء اللجان الشعبية في مخيم البريج، هو الذي لا ينكح لحظة واحدة عن الحديث أمامها وأشقاؤها جميعاً عن قريتهم المغار والقرى الأخرى في فلسطين المحتلة عام ٤٨، وأسباب هجرة الأجداد عنها، والمجازر التي ارتكبتها العصابات الإسرائيلية آنذاك في من تبغوا لإجبارهم على الرحيل، ورحلة الهجرة التي سلکوها في طريقهم، وأين استقر بهم الحال في غزة. وتابعت: لقد شاهدت قريتنا في الصور التي كان التقطها أعمامي قديماً حين كانوا يزورون القرية، شاهدت أطلال البيوت المدمرة، وأشجار البرتقال، وكروم العنب والتين، كما عرفت أن عدد سكانها قبل الهجرة كان يصل إلى ١٨٠٠ نسمة، أما الآن فوصل عددهم تقريباً إلى ما يزيد على ٢٥ ألفاً، موزعين على كافة مدن ومخيمات وقرى فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة، والشتات الفلسطينية. وقالت أسيل: «والدي قال لي إن عمر جدي أكبر من عمر إسرائيل، وإن إسرائيل لم تكن موجودة، بل كان اليهود موزعين على مختلف دول العالم، وحتى تتخلص بريطانيا منهم، عملت لهم وطناً قوياً في فلسطين على أنقاض الشعب الفلسطيني بعد أن هجرت سكان الأرض الأصليين، ولكن هذا لن ينسينا حقنا بالعودة، وسأبقى أتذكر أرض آباؤي وأجدادي ما حييت، لأحكي لأولادي وأحفادي في المستقبل عنها أيضاً». أما الطفلة مها محمد منصور ١٤ عاماً فبدأت حديثها بالقول: «إن غدا لناظره قريب»، «وإنه لا يضيع حق وراءه مطالب»، ونحن طلاب حق، وبالتالي لن تضعب أرضنا حتى وإن عاش عليها اليهود آلاف السنين، فهي سترجع لنا بإذن الله، لأن هذا هو كلام القرآن، وما بشرنا به الله ورسوله».

## قراءة في واقع نضال المرأة الفلسطينية مروراً بالنكبة

غزة - نيللي المصري

ذات الباع الطويل في مقارعة الانتداب دور مميز في قيادة عمل نسوي ضد التوطن وتميّزت معها من القيادات النسوية (وداد قمرين، سعاد هريس، رجاء أبو ماشي، نهيلة عويضة) وقد شاركن في التظاهرات التي أسقطت مشاريع التوطن، وفي الضفة الغربية اجتمع أكثر من ٣٠٠٠ امرأة في خطوة سياسية كبيرة لإسناد مشروع تشكيل «م.ت.ف» وكان هذا إيذاناً بميلاد الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ١٩٦٥ حيث كان للسيدات (سارة حنون وعندليب العمدة وعصام عبد الهادي وسميحة خليل وليلي الأعرج وحلوة جقمان) الدور الريادي في ذلك، وتشير إلى أن الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية تأسس سنة ١٩٦٥ وبسبب ظروف الاحتلال تعطلت برامج الاتحاد داخل فلسطين لكنها كانت في ذروة النشاط في مناطق الشتات وبذلك حظيت المرأة الفلسطينية بمرجعية سياسية تمثلها خارج الوطن، ونشطت في الجانب التربوي والاجتماعي ما ساهم في تحسين معيشة النازحين وتقديم بعض الخدمات الحياتية المطلوبة، وشاركت المرأة الفلسطينية في المقاومة وكان من المألوف رؤية النساء يتدربن في قواعد المقاومة في الأردن ولبنان وبرزت من بينهن نساء عديدات كليلي خالد، ودلال المغربي، وفاطمة برناوي.

أما الكاتبة أحمد مروان مدير عام أرشيف الناصرة الفلسطينية فيوضح في إحدى مقالاته أن دور المرأة في هذه الحقبة الزمنية «حقبة النكبة» كان قاسياً ومؤلماً مثل اضطراب البعض منهن للعمل الميداني ومكافحة آفة البطالة والعوز من ناحية ودخول الحكم العسكري وما شهدته البلاد من تطورات خطيرة، وأسهمت المرأة الفلسطينية في ظل هذه الأحداث بصورة واضحة بتمسكها بالقومية العربية والهوية وحق العودة إلى وطنها الأصلي، مشيراً إلى أنه في المخيمات الفلسطينية مثل عين الحلوة وغيرها أخذت المرأة الفلسطينية وخاصة المثقفة تعلم الأطفال وتنشئهم للمستقبل وتبث روح الوطنية في دمائهم وعقولهم الصغيرة، وقمن بتدريب الفلسطينيات على الإسعافات الأولية كالدكتورة المناضلة «صبا الفاهوم» التي كانت أبرز أعضاء الاتحاد العام للمرأة الذي تأسس في القدس العام ١٩٦٥ ليكون قاعدة لمنظمة التحرير الفلسطينية وممثلاً شرعياً وحيداً للنساء داخل الوطن وخارجه وإطاراً شعبياً وديمقراطياً يوحد كلمة المرأة الفلسطينية ويوحد صفوفهن للمشاركة في جميع النشاطات السياسية والاجتماعية والإقتصادية.

ويبقى دوراً للمرأة الفلسطينية الريادي في كافة المجالات وخاصة العمل الوطني منذ سنين طويلة عاصرت من خلالها النكبة ومراحلها الصعبة التي عصفت بالوطن وكافة مناحي الحياة الفلسطينية.

لاشك في أن المرأة الفلسطينية دوماً كانت رائدة العمل الوطني والاجتماعي، فمنذ القرن العشرين والتاريخ يجسد أروع صور بطولاتها وصمودها، فبعداً بالمرأة الريفية التي شاركت زوجها وأخاها في الحقل وزراعة الأرض وجني المحصول، إلى إحصار الماء للمناضلين في الجبال، إلى الدفاع عن الأرض وهي تضرب اليهود بالحجارة عندما كانوا يطردون أهل الأرض منها لبناء المستوطنات عليها، مروراً بالنشاطات النسوية التي ظهرت منذ بداية الانتداب على فلسطين ومنها نشاطات اجتماعية وثقافية للمرأة، وبدء ظهور جمعيات نسائية، وهذا ما أوضحته الدكتورة عابدة النجار في كتابها (صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن) وتشير الدكتورة عابدة إلى أن جمعية السيدات الأرثوذكسية التي أسست قبل الانتداب اهتمت بتعليم البنات وأسست مدرسة الإناث في يافا في العام ١٩٢٤ برئاسة أديل عازر، ومن المدرسات: نجلاء موسى، وسوريا بطيخة وليزا بطرس.

وساهمت أولغا أندراوس العيسى بالإشراف على تعليم الخياطة، وأضافت إن الصحافة الفلسطينية اهتمت بنشاط النساء على صفحاتها وظهرت أسماء لكاتبات وصحافيات منهن أرجوان الفار وأسبن نيقول شامات وأولغا ملك وهنريت عازر والفيرا عازر ورينية حباب و فيرا عازر واليس وأنجيل صايغ، وتؤكد الدكتورة النجار أن أهل فلسطين اهتموا بنهضة المرأة وعملوا على إدمانها في التعليم والمشاركة الاجتماعية والسياسية، فمنذ العشرينيات اهتم المثقفون بمناقشة موضوع المرأة ووضعها على صفحات الجرائد التي كانت في ازدهار مستمر وكانت الآراء بين متحمس ومعارض. برز ذلك واضحاً منذ ١٩٢٦ ١٩٢٧ حيث أنشأت جريدة «الكرمل» زاوية «صحيفة النساء» وعالجت الصحيفة موضوعات اجتماعية بأقلام رجال ونساء على حد سواء، فقد عقد أول مؤتمر للنساء في القدس العام ١٩٢٩ والذي حضرته ٢٠٠ مندوبة يمثلن جميع أنحاء فلسطين، وأخذن في المؤتمر قرارات جريئة ومنها: إلغاء وعد بلفور، ومنع الهجرة اليهودية ووصفت الصحف كيف رفضت النساء شرب القهوة إلا «إذا استجابت الحكومة لمطالبهن» في مقابلة مع المندوب السامي، وكانت النساء قد قمن بتظاهرة نشرت جريدة «صوت الشعب» تفاصيلها بتاريخ ١٠/٣٠، واستكمالاً لقراءة دور المرأة الفلسطينية الريادي بكافة المجالات أكدت الدكتورة نجاة أبو بكر النائب في المجلس التشريعي من خلال ورقة عمل حملت عنوان «المرأة الفلسطينية تاريخ حافل بالنضال» أن المرأة الفلسطينية في الضفة وغزة انهمكت في تثبيت أركان الأسرة من خلال البيت القوي الذي يعتمد على جهودها في توفير القوت اليومي كما تصدت لمحاولات التوطن التي روج لها سنة ١٩٥٤ وكان للسيدة عصام حمدي الحسيني،

# جداتي والتغريبة

غزة - سمر جمال أبو شماس

«لا تسلم عن سلامته، روحه فوق راحته، بدلته همومه كفنًا من سادته، يرقب الساعة التي بعدها هول ساعته» هكذا كانت البداية، فعندما نفض الحكاية، وجب علينا القول كان يا ما كان، قبل النكبة بسنين طويلة تكفي لكي تمتزج بالأرض عرفًا وحبًا ومعرفة بآدق تفاصيلها الجميلة ربوعها وبواديها، حتى فصولها الأربعة على اختلاف ابتسامتها غصبا، فرحا أو سخرية، طابت لهم مرعى وسكنًا.

ولدت تلك الجدة ذات البشرة الحنطية وملامح الوطن مرسومة بكل دقة على محياها، قصص كل يوم تلف ذكرى سنين، هي لا تعلم أن ستين عاما قد انقضت على الكارثة «النكبة»، التي حلت ببيتها الصغير، ولا كروم العنب والتين، وتلك الشجرة الأسطورية كما يطلقون عليها في البلدة.

فهي تجلس دوما مع صديقاتها العجائز يتجاذبن أطراف الحديث عن الأيام الخوالي والسامر ومواسم الأعياد ويطرحن على من مات ومن فقد، تجمعهن المصيبة والوطن ذاته والسماء ذاتها، لكن الهجرة قربتهم في المكان ذاته، فتلك العجوز من الشمال والأخرى من الوسط والبقية تتوزع على كف الوطن.

ما أن اضل علينا مسلسل التغريبة الفلسطينية وإذ القلوب تخفق، والحناجر تطلق صيحات الفرح. وبعض أطفال المنزل يتأمل رؤية جده! بالرغم من أنه مات منذ بضع سنوات، ترقبنا تاريخنا الأسطورية عبر شاشة، عقولنا لاتصدق وقلوبنا تقول نعم تلك الحقيقة، هذه البلدة تشهد وتلك المنازل تبكي على أصحابها أطلال تأمل التلاقي.

ما ان بدأت شارة البداية بدموع مزوجة بدم الغربية صمت الجميع معلنا دقيقة حداد على ضمير الأمة وليستمع لكلمات غاية في الروعة والأداء «صامت لو تكلمنا، لفظ النار، والدماء، قل لمن عاب صمته، خلق الحزم أبكما».

هكذا كانت شارة البداية، جدتي لم تستوعب الأمر فلم تفلح حتى بإقناعها بجدوى متابعتنا لهذا المسلسل، حيث بدأ العرق يتصبب من جبينها الدافئ وعيناها تقطران هذا المشهد لم نره من قبل، ما السبب وراء منع التغريبة في بيتنا؟ لماذا الرقابة؟ هكذا تسأل الجميع.

وأخيرا أستجبنا لإلحاحها المتكرر في ضرورة إغلاق التلفاز لأنها لا تقوى على مشاهدة ما حل بها مجدداً، فنحن لم نقتنع بادئ الأمر، وبعدما أدركنا حجم المسألة وما نقلته التغريبة من نبش لذاكرة جدتي، فما ان أغلقنا التلفاز وإلا شرح مفصل عما حدث في القرية ولما سمعوه وما شاهدوه وعن أيام أدمت قدميها وأهلها حتى غزة، عن الرصاص الذي اخترق جسدها وأرداها قتيلة كما حسبوها في الساعة الأولى، لولا رعاية الله.

وعادت جدتي وصديقاتها يفترشن السياسة بتحليلاتهن يؤرخن حقبة هي الأصعب في التاريخ المعاصر.

بالحق هي أعظم مصيبة يمر بها بشر، أن يفقد أرضه وأن يدعي الآخر ملكيته لها، بالرغم أن التاريخ والجغرافيا والعالم يعي تماما لمن فلسطين.

هل جدتي محقة في منعنا من التغريبة؟ بالرغم من أننا دائما نستمتع لحكاياها عن مروج فلسطين الخضراء والحرية والحب والصفاء، الذي عكر ماءه جيش مستبد أتى من أقصى الأرض طريدا يدعي فراغها من أي وليد، تحت شعار أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، هذا الهراء الذي سوقه لكي يقنع نفسه هو، ومع الأسف صدقه البعض رداً وفعلاً لا اقتناعاً كالغنم يساق وراء الراعي.

غريب ما حدث غير ملامح الجغرافيا البشرية لكنها ذات الأرض بقايا المنازل حاولوا تغيير مسار التاريخ بقوة لكن الجذور بقيت عسبية، تداخلوا فيه لكن لم يغيروا شيئاً فالحقيقة معروفة والحق ضائع لم يجد ضالته بعد، حتى العودة ماذا يتبقى لنا من آمال؟ هل نعد سنوات تقتفيها سنون؟ هل نكرر التغريبة؟ هل ننحت صخرة نرسم لوحة نبيكي أرضاً؟ هل نبيكي كما جدتي؟ ماذا نفعل ننسلي بهمو منا الصغيرة أم بمصائبنا الكبيرة؟.

## ستون عاماً

# الحاجة فاطمة الزريعي ما زال قلبها يحن إلى مضارب عشيرتها

مروة الحسنا

المجاورة لعشيرتها حيث قامت العصابات اليهودية بإطلاق النار على أهالي العشيرة؛ الأمر الذي أثار الهلع والخوف في نفوسهم خاصة بعد ما تواردت أخبار المجازر التي ارتكبت بحق القرى والمدن الفلسطينية الأخرى.

### تشتت الحال

كغيرها من العشائر البدوية التي تسكن المنطقة عشيرة أبو عويلي وأبو مغيصب وأبو منديل شدت عشيرة الحاجة أم محمد رحالها إلى مكان آخر أكثر أمنا لتستقر بعد مسير يوم بليلته في منطقة تسمى أبو عبيدة تقع شرق مدينة دير البلح وهي منطقة قريبة من مضارب عشيرتها وذلك على أمل العودة القريبة التي طال انتظارها كثيرا. تتابع أم محمد حديثها عن رحلة التهجير وتقول: «تقلنا في أماكن كثيرة من مدينة دير البلح حتى استقر بنا المقام في المحطة شرق المدينة، حيث بدأت الوكالة بتوزيع السكر والطحين والمواد التموينية على المواطنين الذين تقطعت بهم السبل بعد هجرة الديار».

### رحلة العودة

استقرت عشيرة أم محمد في مخيم دير البلح للاجئين حالها حال الآلاف من الفلسطينيين بعد النكبة، حيث أنجبت أم محمد تسعة من الأبناء في الهجرة لم يتبقى منهم إلا بنت واحدة بالإضافة إلى ابنها البكر محمد الذي خرج معها في الهجرة، فأبناؤها كانوا يموتون قبل إتمامهم العامين بسبب الأوضاع الصحية التي كانت تسود مخيمات اللجوء وقلة التطعيمات وسوء التغذية. وعلى الرغم من مرور ستين عاما مازال أمل العودة إلى الديار يراود الحاجة أم محمد، فهي تذكر أنه قبل حوالي خمسة وعشرين عاما خرجت هي وعائلتها في رحلة إلى بلدتها تل جمى حيث كانت البلدة خاوية على عروشها باستثناء بعض الرعاة ممن تبقى من القبائل البدوية هناك.

وعن العودة مرة أخرى إلى مسقط رأسها وبلد أجدادها منذ مئات السنين نظرت إلي وعيناها تملؤهما الدموع وقالت بصوت متحشرج اختنق بداخلها: «أخ يا حسرتي يا بنيتي الناس ماتوا وهم لا شرقوا ولا غربوا، لكن بلدي ما بعوضها ما إلي غنى عنها أبدا، هو ملكك زي ملك الغير!؟



## من نكبة لنكبة.... يبقى الحلم

نجوى غانم

لم تكن المرأة الفلسطينية تعلم أي أقدار تنتظرها حتى طحنتها رحي النكبة والتهجير واللجوء، وحولت استقرارها وانتماؤها وكيانها إلى رذاذ حملته الرياح وقذفت به حيث أشارت أصابع القدر. وعلى الرغم من أن حياة المرأة الفلسطينية قبل النكبة لم تكن بالسهلة عليها أو المنصفة لحقوقها أو حتى الخالية مما ينغص عيشها، إلا أنها كانت حياة ذات مذاقٍ آخر، فآية قسوة للحياة تهون وأنت في بيتك وعلى ثرى أرضك وبين أهلك وذويك، تحمل هوية وتتنتمي لوطن يحتضنك بليته أو حتى بقسوته.

لقد كانت النكبة حدثاً أكبر من أن تستوعبه عقول الرجال والنساء معاً لكنها كانت أقسى على النساء، فبالرغم من مساهمتها في الدفاع عن الأرض إلا أنها سرعان ما انضمت لقافلة الانكسار المهاجرة بينما ظل الرجل في ميدان المعركة غير المتكافئة بعقائه البسيط، وحملت هي في بقجتها حزنها على من فقدت وخوفها على من تركت خلفها وفزعها من المجهول السائرة صوبه.

وهكذا نقلت النكبة حياة المرأة الفلسطينية نقلة نوعية حيث انتزعت من أحضان البيت الدافئ وتلقفتها أحضان العراء وألقت بها إلى الخيمة التي صارت سكناً وعنواناً. وهناك ودعت الاستقرار واستقبلت الضياع بانكسار العاجز عن تغيير واقعه أو حتى الاعتراض عليه. في الخيمة كانت حياة أخرى بدأت المرأة الفلسطينية تطوعها بكل ما تبقى لديها من قوة وعزيمة لتحافظ على من تبقى من أسرته وتلمم ما ظل لدى أبنائها من يقين بأن العودة للديار قريبة وتصنع منه وتدا تثبت به جوانب الخيمة حتى لا تحملها الرياح مرة أخرى لمكان أبعد عن الأرض والوطن، منتظرين غودو الذي سيأتي ذات يوم فيخلصهم جميعاً من الضياع ويردهم منتصرين إلى ديارهم. فتعاقبت الفصول على الخيمة حتى بهت لونها وتمزقت زواياها ولم يات غودو وذابت خيوط ثوب المرأة الفلسطينية فنسجت من إصرارها على البقاء خيوطا طرزتها على أرض ثوبها مدينةً ترتديها على الدوام.

مثلما كانت الحاجة أم الاختراع فقد كان احتياج المرأة الفلسطينية بعد الأهوال التي عاشتها بعد النكبة للبقاء والإستمرار دافعا لاختراع سبل للحياة من الإمكانيات البسيطة المتاحة لديها وقتئذ.

لقد جرفت أمواج الهجرة المرأة الفلسطينية من ديارها وحملتها معها لترسو بها حيث شاء القدر فباتت مدن العالم بأسرها موانئ ترسو عليها سفينة أقدار الفلسطيني، وهكذا أصبحت المرأة الفلسطينية بذرة زرعت في كل بلدان العالم فأنجبت في المنافي بذورا أخرى تحمل ذات القضية وتدافع عن ذات الحلم وهو العودة ذات يوم للديار التي هاجرت منها قسرا. لقد صمدت المرأة الفلسطينية على اختلاف درجات تعليمها أمام اللجوء والانكسار فشجعت أبناءها على التعليم وتفاقت في توفير ما يحتاجون إليه للوصول إلى أعلى الدرجات العلمية إيماناً منها بأن العلم هو السبيل الوحيد للخلاص بعد أن فقدت الأمل من مجيء غودو. مما لا شك فيه هو أن السر في بقاء الشعب الفلسطيني صامداً في وجه الاحتلال ستين عاما بدءاً من نكبة عام ١٩٤٨ ومروراً بنكبة عام ١٩٦٧ ومن بعدها الانتفاضتان وصولاً للحصار الخانق على قطاع غزة هو صمود المرأة الفلسطينية، فهي الجذر المغروس عميقاً في الأرض والذي يغذي شجرة البقاء لدى الشعب الفلسطيني، فبالرغم من كل ما مرت به إلا أنها صمدت وأنجبت المقاومين والقياديين والأعلام، مستعينة بما لديها من إصرار على الكيونة وخبرات أكسبتها لها المعاناة بالإضافة لحمالات الدعم والتوعية التي تقدمها المراكز النسوية المنتشرة في أرجاء فلسطين.

# الحاجة عليا .. هجرها الاحتلال من بلدتها وقتل أهلها في مخيم اللجوء

نابلس - حنين السايح



نوم العراء

رحلة الحاجة عليا وأهلها امتازت، بالإضافة إلى كونها رحلة على الأقدام، إلا أن النوم بالعراء كان من الأمور التي تلفت الانتباه، وكانهم خارجون برحلة كشاف، تقول الحاجة نعمة: «وصلنا إلى منطقة مخيم جنين، ومكثنا هناك عدة أيام مع عائلة تعرفنا عليها في الطريق، ولم نستطع وقتها أن نحصل على خيمة تؤويها، كلما سال والدي مسؤول الصليب الأحمر كان يقول له الخيمة في الطريق لم تصل بعد».

تتهددت ثم تابعت روايتها: «بعدها رحلنا لجنين لمدة عام كامل لقرية سيلة الظهر رحلنا مع إخوتي الصغار، واستشهد أخي الكبير وترك ثمانية أولاد وراءه وبعدها بعشر سنوات تزوجت في مخيم العين من قريب لنا».

وتتابع الحاجة بلهجتها التي اعتادت الحديث بها: «يا ريت وقف حالنا على النكبة الأولى والتشريد يا بني، حياتنا كلها تكبات ففي الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٨ استشهد ابن ابني وبعدها في الاجتياح الكبير لنابلس وحين عام ٢٠٠٢ استشهد ابن ابنتي في نابلس وابنة ابنتي في جنين».

وطالبت الحاجة عليا وعيناها تاملهما الحسرة والألم على حالها وحال جميع اللاجئين الفلسطينيين بالوحدة الوطنية والتمسك بالثوابت الوطنية ولم الشمل الداخلي حتى نستطيع أن نتغلب على من اغتصبوا أرضنا وشردونا.

ستون عاماً مرت على نكبة الشعب الفلسطيني، تلك النكبة التي قام خلالها اليهود بعمليات التطهير العرقي ضد الفلسطينيين، وشردوا أكثر من ثمانمائة ألف لاجئ فلسطيني، وأقاموا دولة الظلم اليهودية (إسرائيل) عام ١٩٤٨ على أراضي الشعب المنكوب والمهجر من أراضي ومزارعه وبياراته وبلداته.

الحاجة عليا أبو سرية ٧٠ عاماً من مخيم عين بيت الماء إلى الغرب من نابلس روت لنا ما حدث معها في عام ١٩٤٨ حين هجرت من قريتها زرعين، ولم تكن تتجاوز السنوات العشر، قالت: «منذ عام ٤٨ إلى الآن ما زالت تجوب الذاكرة ببقايا منزلنا الصغير في قريتنا المحتلة التي طردنا منها، وما زالت «حاكورتنا» التي ساعدنا والدي ببناء جدرانها من الطين والقش، الجنة التي ما زلت احلم بالعودة لها».

إسهاب في الكلام ووضوح في المعاني، ومقاصد جميلة قالتها الحاجة عليا لنا عندما حدثتنا عن بيتها العتيق الذي لم تعد تراه.

## عزيز قوم

وتابعت تروي قصتها ويوم احتل منزلها وطردت منه وعائلتها التي تفرقت في شرق الأرض وغربها، بحثاً عن مأوى، وما أصعبها حين تجد «عزيز قوم ذل»: «كنت طفلة صغيرة لم أتجاوز السنوات العشر عندما هاجمت العصابات الصهيونية بلدتنا الصغيرة زرعين قضاء جنين، حيث اقتحموا البلدة براً وجوا وقصفت البلدة، واستشهد عدد كبير من سكان البلدة بمن فيهم شقيقي الكبير الذي كان يعمل على خط الترين «خط القطار السريع».

وأردفت الحاجة عليا تقول: «كان لي أربعة إخوة وأخت واحدة، هاجم اليهود بلدتنا والبلدات المجاورة ومنها حواشة وبلد الشيخ، وكنا وقتها نحتفل بخطبة أخي في بيت عمي بمدينة حيفا، ووصلنا إلى بلدتنا بشق الأنفس، حيث كانت لا تزال غير محتلة، وبعد أن وصلنا إلى بلدتنا بحوالي أسبوع هاجمت عصابات الصهاينة بلدتنا فاستشهد أخي الكبير واستشهد ابن عمنا في زرعين عبداً لله الفلاح ومحمد الألماني في قرية الفنيرة قرب حيفا. وبعدها بدأوا قتل النساء والرجال الذين لم يرحلوا، بعدها هربنا إلى العفولة لمدة أسبوع».

تتابع الحاجة عليا «كل ما أتذكره غير احتضان أمي لي، «بقجة ملابسنا» وعصاها التي كانت تنكئ عليها، احتضنتني أمي وإخوتي وخرجت بنا مع والدي والأهل وسكان البلدة في رحلة من العذاب مشياً على الأقدام دون مأوى ولا مأكول ولا مشرب، فقدنا كل ما نملك، البيت والملابس والأثاث، تركنا كل ما نملك ونجونا بحياتنا بعد مشي استمر عدة أيام». تضيف: «ما زلت أذكر ذلك الوقت، قبل غروب الشمس بدقائق، مئات الدبابات المدججة بالأسلحة اقتحمت القرية، نادت عبر مكبرات الصوت ليس للجمع في ساحة القرية، أو أمام المسجد، وإنما كان الكلام أقسى بكثير، فقد اقتلعونا من بيوتنا، كما تقتلع الأشجار من محلها».

## رائدة فلسطينية اسمها لطيفة الحوارية

ليب فالح طه

قال أحد المفكرين يوماً بنظرية «الإنسان الشامل»، والإنسان الشامل هو الإنسان الذي تجتمع في شخصيته عدة مزايا وأبعاد؛ مزايا الشخصية الكارزمية تبعدها الإنساني، الاجتماعي، السياسي، الثقافي... الخ. ما فهمته من نظرية الإنسان الشامل هو الإنسان القادر على التميز في عدة أشياء، وشخصيته لها أبعاد عدة، لا تقف عند أبعاد الزمان والمكان، بل تتعداها كثيراً.

ولطيفة الحوارية هي إحدى تجليات الإنسان الشامل دون مجاملة أو رياء.

لطيفة الحوارية (أم طارق) نموذج لا نذكره هنا على سبيل المجاملة، بل لإعطاء أجيالنا قدوة لامرأة عملت بكل جد، وتميزت واستمرت في العطاء حتى بعد أن تجاوزت الستين من العمر.

لطيفة، التي تقول إنها في طفولتها تمنّت لو كانت رجلاً، فخاضت مجالاً كاد يكون محصوراً على الرجال حينذاك وهو العمل التنظيمي والوطني، وقد مهدت لهذا النضال بنضال اجتماعي حين كان أول إضراب لها عن الطعام في بيت أهلها لتتنزع حقها في العمل الوطني؛ ذلك لأن العرف الاجتماعي الذي ساد حينذاك ولا يزال لا ينظر للعمل الوطني من جانب الفتيات بعين الرضا لأن ذلك يترافق مع اجتماعات واختلاط بين الجنسين.

درست أم طارق اللغة العربية في معهد في عجلون، وعادت لتدرس في وكالة الغوث دون أن تتخلى عن العمل التنظيمي والتطوعي. وعن العمل التطوعي تقول أم طارق إنه كان أرق مما هو في هذه الأيام، وطعم شخصيتها بمزايا إيجابية منها تفاعلها وحيويتها وبسمتها الدائمة رغم ما واجهته من متاعب ليس آخرها المتاعب الصحية.

وكنتيجة طبيعية للعمل التنظيمي يأتي السجن بكل تداعياته، أخذ السجن من عمرها حوالي سبع سنوات، فمن حكم بالسجن الإداري سنة ١٩٦٨ إلى السجن من ١٩٦٨-١٩٧٥، تراقق السجن مع هدم منزل عائلتها، في السجن عقد قرانها على زميلها في العمل التنظيمي أحمد دخيل الجمل حيث تبادلوا ذبل الخطوبة وهي خارج السجن، ثم عقد قرانها عندما وحدهما السجن كسجينين ورفيقي عمل وطني وزوجين ضمهما الهم الوطني حتى اليوم.

دخلت لطيفة الحوارية مستشفى سجن الرملة حيث أجريت لها عملية جراحية في الظهر، وأراد أطباء الاحتلال استئصال رحمها دونما حاجة طبية لذلك لولا تدخل الدكتور الطرزي الذي لم ير أية ضرورة طبية لذلك، وإن كان أغلب الظن حقدهم على الأرحام الفلسطينية التي تقض مضاجعها هاجسهم الأمني والديمقراطي.

أبعدت لطيفة بعد السجن إلى الأردن لتتجرب هناك ولدين وبنيتين، كما درست في جامعة بيروت العربية دون أن تكمل دراستها. ولم تتخل هناك عن العمل الوطني حتى عادت إلى الوطن سنة ١٩٩٦.

عادت أم طارق إلى الوطن الذي تقول إن فرحة عودتها إليه ما زالت مستعرة حتى اليوم في جنباتها. عملت في وزارة التربية والتعليم حتى تقاعدت، وهي اليوم عضو في المجلس الوطني الفلسطيني عن كتلة المبعدين.

أسست أم طارق سنة ٢٠٠٥ «ديوانية جمزو» تيمناً بصالون مي زيادة الأدبي، حملت الديوانية اسم القرية التي انحدر منها زوجها والتي كانت تقع قرب مدينة الرملة حتى أزالها الاحتلال عن الوجود إبان النكبة.

أما عن رسالة الديوانية فنقول أم طارق إنها تهدف لإعادة الاعتبار للبيت كمؤسسة أولى، فالديوانية تعقد في منزلها مرة أو مرتين في الشهر، وتناقش موضوعاً سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً ساخناً. ويحضر الديوانية ما يقارب العشرين شخصاً من الجنسين من كتاب ومثقفين ومهتمين في جلسات تهدف إلى العصف الذهني. وقد عقدت الديوانية حتى الآن ما يقارب الثلاثين جلسة غطت أخبارها بعض الصحف المحلية.

وعندما نسال أم طارق كلمة أخيرة عما استخلصته من عمر حافل بالنضال والكبح تقول إن الصعوبات تعطينا قوة وتغذيها بالحكمة واللباقة والطاقة على مواجهة التحديات مهما كان نوعها.

## ما زالت تروي قصة أرض لم تعيش فيها!!



بقلم - سهير قاسم

ولدت عام النكبة كما يقولون، نسبوا إليها الاسم حتى التصق بها والتصقت به، كثيراً ما لقيت بـ«النكبة»، كانت طفلة، نعتوها بالكثير من الصفات، هي ابنة الصغرى التي لم يفرحوا بولادتها. إنها أم العبد التي كانت تحس بغصة من سماع الروايات والقصص من ذويها عن التهجير والتشريد والقتل والخراب في المدينة التي عاشوا فيها سنوات طويلة من عمرهم، أما هي فلم تعيش أكثر من شهر، هجرت رضية، وشردت مع من شرّدوا مخلفين وراءهم مدينة حيفا، تركوا البيارة والمحاصيل. أما الدموع فكانت ملازمهم، فهل من رجوع!.

ستون عاماً على الرحيل، ما زالت رائحة الأرض تسكن قلوبهم قبل أنوفهم، ما زالت الصور منحوتة في مخيلاتهم، مهما مضت سنوات وعقود. حملت «أم العبد» روايتها عن والديها وأجدادها، لم تفرط بتلك المقولات التي تحمل تراث شعب وهم قضية. تناقلتها مثل غيرها من الأطفال المشردين، صاغتها حكايات والحن جميلة للأحفاد، نسجت لهم قصص أولئك القوم العائدين الذين سكنوا بجوارهم، وسرعان ما انقضوا عليهم وأزاحوا عن وجوههم اللثام، ذهبوا بعيداً في جشعهم، نهبوا الأرض، بنوا البيوت التي استوردوها فكانت دخيلة، كأنها مصنوعة من الكبريت، هدموا البيوت القديمة التي غرست في الأرض منذ زمن بعيد، اقتلعوا الشجر والحجر، قتلوا الطفل والشيخ والرضيع، إنهم الوافدون الآخرون من بقاع الأرض، جاؤوا باحثين لهم عن حياة لا يهمهم على حساب من تكون، حتى لو قتلوا وطردوا الأبرياء من البشر!

لم تتوان أم العبد يوماً أو تقصّر في سرد رواياتها، تقارن بين الحياة التي تعيشها الآن في مدينة نابلس، وحياتها في الماضي التي لم تعيشها في مسقط رأسها، لكن عاشتها من نسج قصص الأجداد والجدات، أحست براحة التفاح والزيت والليمون والبرتقال تخرق أعضاء جسدها. شتان ما بين القمح الذي كانت تجمعها والدتها وتخبره ببديها، القهوة التي تحتسيها كانت من صنع يديها. بحسرة ولهفة تقول «أين الماضي وأيام العز، أين أيام زمان!» لا تتردد في الإجابة عن سؤال حفيدها، عندما يسألها عن مكان سكنها وهي طفلة صغيرة؟ أو عن ألعابها مثل غيرها من الأطفال الآخرين؟ أين الزيت الذي طالما تذكره لنا؟ كانت تجيبه «نعم يا بني

لكن كنت غريبة بعيدة عن بلدي، هناك في حيفا جاء اليهود احتلوا الأرض، أجبروا أجدادك على ترك كل شيء». يعيد الطفل السؤال ببراءة، هل سنعود يا جدة لحضر الزيت والقمح من هناك؟ لا تفكر في الإجابة، حتما سنحضر كل شيء، هناك الأرض والبيت، لا بد من العودة يوماً».

أما الآخرون الغريباء فهم سعداء بالأرض، إنها موعود ونصر وهمي لهم، إعلان لدولة لا جذور لها. تلك القضية ليست من باب النزاع، لكنه الصراع الأدبي على الحياة، الصراع بين شعبيين: الأول يباد وينكل به ويشرد، الآخر غاصب محتل على زمن يدعي الحضارة والتقدم والتحرر من العبودية. مع كل ذلك تستمر أم العبد في رواية قصص الأجداد لأحفادها، قصة أرض لم ترها، لكنها اشتمت رائحتها، قصة شعب لم ولن يقهر، فجأة تكف الدموع، تتجمد في العيون، إنها رسالة أم العبد للجميع، «لن ننكي بعد الآن، سنكون نحن رغمنا عنهم، وسيزول الآخرون».

ستون عاماً أو يزيد على اقتلاع وتهجير شعب من أرضه، وما زالت النكبات مستمرة ومتجددة بصور مختلفة، فمن مرحلة التهجير والتشريد والاقتلاع من الأرض إلى مرحلة محاربة الذات وطمسها.

## مؤتمر أجندة الحوار الوطني الاقتصادي- السياسات الصناعية

## وتوصيات بمأسسة العلاقة بين السلطة والقطاع الخاص

رام الله-لبنى الأشقر



كيف يمكن خلق شراكة حقيقية ومأسسة العلاقة بين السلطة والقطاع الخاص، وتحديد برنامج وآلية لتفعيل المؤسسات العامة والهيئات ذات الصلة بالشأن الاقتصادي، هذا ما حاول مؤتمر أجندة الحوار الوطني الذي رعته مؤسسة كونراد أديناور الإجابة عليه، حيث أكد رئيس المجلس التنسيقي لمؤسسات القطاع الخاص محمد حرباوي الذي افتتح المؤتمر ضرورة وضع "أجندة مستعجلة للحوار مع الحكومة".

وقال أن القطاع الخاص الفلسطيني "مطالب أكثر من أي وقت مضى برص صفوفه وتوحيد مواقفه والقيام بمسؤولياته، لأخذ دوره في عملية البناء والإصلاح، بالإضافة الى حشد كافة الطاقات حول أجندة موحدة، لأن مصالح القطاع الخاص هي مصالح مشتركة". وأشار حرباوي الى اعتماد أجندة متكاملة كإطار للحوار مع الحكومة على المدى القصير، "وإذا تحققت ستعكس على كافة مناحي الحياة، وستساعد في الحد من البطالة والفقر وتساهم في تحسين بيئة الاستثمار".

د. سلام فياض رئيس الوزراء الذي رعى مؤتمر (أجندة الحوار الاقتصادي)، أشار الى أن المؤتمر الذي تناول السياسات الصناعية، يدل على إرادة الصناعيين الفلسطينيين بشكل خاص، والقطاع الخاص عموماً، لتعزيز وتطوير قدرة الإقتصاد الوطني ورفع كفاءته وقدرته التنافسية، وبما يساهم في تعزيز قدرة شعبنا على الصمود وحماية قضيته العادلة ومشروعه الوطني في الحرية والاستقلال.

رئيس الوزراء دعا المجتمع الدولي الى تحمل مسؤولياته بالضغط على إسرائيل لإزالة العوائق أمام نهوض الإقتصاد الفلسطيني، وخصوصاً فك الحصار وفتح المعابر المؤدية الى قطاع غزة. وأشار الى أن السلطة توفر كل ما لديها من إمكانيات لدعم الإقتصاد الوطني بكل مكوناته، وتوفير البيئة القادرة على النهوض بهذه المهمة لجهة تجنيد علاقاتها مع الأطراف الدولية، وحثها على ممارسة مسؤولياتها في إلزام إسرائيل بإزالة كافة العوائق، وفي مقدمتها فتح معابر قطاع غزة، وإزالة الحواجز بين مدن ومحافظات الضفة الغربية، وبما يمكن من حرية الحركة للبضائع والأفراد داخل الأراضي الفلسطينية، وبينها وبين العالم. وتابع: "بدون ذلك لن نتمكن من تحقيق إنطلاقة فاعلة للنهوض الجدي بالإقتصاد الفلسطيني، والخروج من حالة الركود الصعبة التي سادت على مدى السنوات الماضية".

## دعم القطاع الخاص

من جهة أخرى، أكد التزام الحكومة بدعم القطاع الخاص، باعتباره المحرك الأساسي للإقتصاد الوطن، وقال رئيس الوزراء أن الحكومة تولي اهتماماً خاصاً بمطالب القطاع الخاص، عبرت عنه بتسديد جزء مهم من مستحقاته المترامية، و(سعيها) لإحداث التطوير الضروري على الصعيدين التشريعي والإداري، وبما يمكن من تشجيع البيئة الاستثمارية.

وأشار فياض الى ان الحكومة بدأت "حواراً منظماً مع القطاع الخاص، لتعزيز الشراكة في تحمل المسؤولية، وإيجاد الآليات الأنسب والأكثر فاعلية لتنظيم العلاقة المشتركة، وجذولة كافة القضايا من أجل إيجاد حلول عملية ولملموسة لها، وضمان تنفيذها وبالسرع الممكنة".

وقال أن الحكومة ملتزمة بهذا الحوار وصولاً إلى خطة عمل وطنية قادرة على النهوض بالأوضاع الاقتصادية، كما أنها "ملتزمة بأشكال التعاون بما في ذلك في مجال تنفيذ المشاريع التنموية، خصوصاً في قطاع غزة والقدس، لتعزيز قدرة شعبنا على الصمود والثبات".

## جهود دولية لتخفيف القيود الإسرائيلية

من جهته، كشف المبعوث الخاص للجنة الرباعية توني بلير عن جهود دولية قريبة لتخفيف القيود الإسرائيلية.

مؤكداً على وجود العديد من الإجراءات الدولية التي ستتخذ في القريب لإنجاح الجهود الفلسطينية والمجتمع الدولي لاحداث تغييرات

جوهرية في الاجراءات الاسرائيلية داخل الاراضي الفلسطينية. وقال: هناك العديد من الاجراءات التي ستتخذ قريباً لانجاح الجهود الفلسطينية والمجتمع الدولي لاحداث تغييرات جوهرية في الاجراءات الاسرائيلية داخل الاراضي الفلسطينية.

وقال إن الدعم الذي قدمه المجتمع الدولي في مؤتمر باريس للسلطة الفلسطينية "يجب أن يقود الى دعم التنمية والمشاريع الاقتصادية والاجتماعية التي يريدها الشعب الفلسطيني". وأثنى بلير على ما تقوم به السلطة والحكومة والقطاع الخاص الفلسطيني، "ما يخلق أملاً نحو مستقبل أفضل"، وشدد على أهمية مؤتمر بيت لحم الذي قال أنه يحظى بدعم دولي. وأوصى المشاركون في ختام المؤتمر بخلق شراكة حقيقية ومأسسة العلاقة بين السلطة والقطاع الخاص، وتحديد برنامج وآلية لتفعيل المؤسسات العامة والهيئات ذات الصلة بالشأن الاقتصادي. كما دعا المشاركون الى بناء تصور مشترك لاعتماد المرجعيات القانونية وإزالة التضارب فيما بينها ومنع الإزدواجية في التنفيذ، وإنشاء محاكم تجارية خاصة للنظر في القضايا المالية والتجارية في مدد زمنية معقولة، وتفعيل التحكيم كوسيلة لحل النزاعات التجارية.

كما دعا المشاركون الى فتح ملف الإتفاقيات التجارية والإقتصادية التي ابرمتها السلطة مع الدول والتكتلات الأخرى، وإقرار القوانين حسب أولويات القطاع الخاص. كما طالب المشاركون بضمان مشاركة القطاع الخاص في المفاوضات التي تتعلق بالإجراءات الإسرائيلية المؤثرة في الشأن الاقتصادي، وتأمين مشاركة فاعلة للقطاع الخاص في كل ما يتعلق بتنظيم العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الجانب الإسرائيلي، في المرحلة الحالية والمستقبلية، والعمل مع الحكومة لحصر حقوق القطاع الخاص الفلسطيني لدى الجانب الإسرائيلي ووضع الآليات القانونية والمالية لتحويلها.

## رهينة الإجراءات الإسرائيلية

من جهته، اعتبر رئيس الإتحاد العام للصناعات باسم خوري أن الإقتصاد الفلسطيني "رهينة الإجراءات الإسرائيلية. وقال أن أقصى ما يمكن الحصول عليه حالياً هو ابقاء القطاع الخاص على وضعه، محذراً من ان الأوضاع في قطاع غزة "مرشحة للانهايار التام".

ودعا خوري الى مراجعة شاملة للدعم المقدم للشعب الفلسطيني من المانحين، معتبراً أنه "لسوء الحظ فإن كثيراً من المساعدات لا تلبى حاجة القطاع الخاص، وبالتالي لا بد من تصميم المشاريع من القاعدة الى القمة، وأن تنسجم المشاريع الممولة مع أولويات الحكومة وخطط القطاع الخاص".

وقال خوري أن الأجندة التي وضعها القطاع الخاص تتضمن الإصلاحات الضرورية والخطوات التي يجب اتخاذها. وقال: "نعتقد أن هناك حلاً في المستقبل، وفي كل الأحوال فإننا بحاجة للإصلاحات، وعلينا التركيز على الأجندة الاقتصادية، ووضع سياسات تجارية ومالية وإطار قانوني، دون نسيان المشكلة الأكبر المتمثلة في الإحتلال والجدار والمستوطنات والإغلاق". وأضاف: "هذه الأجندة تتعامل مع السياسة الصناعية وتفصل الإجراءات التي يجب أن تتخذها كل الأطراف الحكومية، والمجتمع الدولي، وإسرائيل كقوة إحتلال، والقطاع الخاص الفلسطيني، موضحاً أن الغاية من هذه الأجندة "توفير بيئة قانونية وبناء للمؤسسات، والبنية التحتية، وتطوير المصادر البشرية وتوطين التكنولوجيا، وإعادة توجيه التجارة وتصنيفها نحو تنمية مستدامة".

وناقش المؤتمر أجندة لقطاع الصناعة عرضها مستشار الإتحاد العام للصناعات صائب بامية وشوقي مخطوب، وأجندة القطاع الخاص الحوار مع الحكومة عرضها د. سمير حليلة المدير العام لمجموعة فلسطين للتنمية والاستثمار "باديكو" وإياد جودة مدير عام شركة "حلول للتنمية الإستشارية".



## نساء وأخبار

## محكمة مصرية ترفض سحب جنسية نوال السعداوي

مصر: رفضت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة، الثلاثاء ١٢-٥-٢٠٠٨، إسقاط الجنسية المصرية عن الكاتبة نوال السعداوي، في دعوى رفعها ضدها أحد المحامين المصريين، بسبب آرائها "المدافعة عن حقوق المرأة". وكان المحامي سمير صبري طالب بسحب الجنسية المصرية من السعداوي، ووضع اسمها على قوائم ترقب الوصول إلى البلاد، على اعتبار أنها نشرت سلسلة كتابات من شأنها إثارة الفتنة في المجتمع، وإزدراء الأديان والتطاول على مبادئ الشريعة الإسلامية.

لكن المحكمة رفضت الدعوى، مستندة إلى "حق المواطن في التنقل والترحال والعودة إلى وطنه"، وفق ما تضمن له الأحكام الدستورية والمواثيق الدولية بشأن حرية الرأي والفكر. ولفت الحكم إلى أن القانون حدد حالات إسقاط الجنسية بشكل قاطع، وليس من بينها ما ينطبق على السعداوي، مجرد إبدائها لرأي أو اعتناقها لفكر، انطلاقاً من أن التعبير عن الآراء يمثل موقفاً ذاتياً شخصياً لمصدره، وهو ما يستوجب حمايته قانوناً. وأكدت المحكمة أن الأزهر الشريف أدى واجبه بشأن الكتاب الذي أصدرته نوال السعداوي بعنوان (الإله يقدم استقالته)، عبر حظر تداوله. وسبق للأزهر أن اتهم السعداوي بـ "إهانة الذات الإلهية، وسب الأنبياء والتهمك عليهم (...). بصورة أقل ما توصف به هو أنه كفر صريح"، في مسرحيتها "سقوط الإله في اجتماع القمة"، وهو ما أحدث جدلاً واسعاً بين علماء الدين والمنقذين. كما تعرضت السعداوي لدعوى قضائية أخرى تطلب إعلان "ردتها" لاتهامها بـ "التطاول على الذات الإلهية" في حوار صحفي أجرته معها صحيفة مصرية، طلبت فيه الكاتبة تانيث الذات الإلهية في سورة "الإخلاص"، قائلة إن اللغة العربية منحازة للرجل على حساب المرأة.

## النساء سيمتلكن الثروات في عام ٢٠٢٠

بريطانيا: من بين الدراسات الحديثة، التي أصدرها بنك "باركليز"، ونشرتها صحيفة "الديلي تلغراف" البريطانية، أنه وبحلول العام ٢٠٢٠ "ستشكل النساء ٥٣٪ من أصحاب الملايين. فيما أكدت دراسة أخرى، أقامتها شركة (داتا مونيوتور) أن الفجوة بين الأثرياء من الرجال، والثريات من النساء تضيق بصورة مستمرة. حيث أظهرت قائمة جديدة خاصة بأبرز ١٠٠ مؤسس مشاريع، أن عدد النساء يتزايد بين أولئك الذين يكونون ثرواتهم من خلال إنشاء نشاطاتهم العملية الخاصة بهم.

وفسرت المديرة التنفيذية لثروات "باركليز" آمي ناويكاس، التحول المستقبلي في تركيز الثروات بأيدي النساء بالقول: "إن النساء المستثمرات يخاطرن بنسبة أعلى من الرجال الذين يميلون إلى الاستثمار في صناعات التحوط، والمشتقات، والأسهم الخاصة. كما أن النساء يفكرن بعمق، وتدفعهن الأهداف حين يتعلق الأمر بالاستثمار، بينما تقتصر نظرة الرجال على النمو والدخل".

## أبو المجد يطالب بمساواة المرأة للرجل في الشهادة

مصر: طالب الدكتور أحمد كمال أبو المجد، نائب رئيس المجلس القومي المصري لحقوق الإنسان، بضرورة مساواة المرأة للرجل في الشهادة وتطبيق ذلك في المحاكم المصرية. وقال أبو المجد في كلمته خلال المائدة المستديرة التي نظمها المجلس حول "المساواة في التشريع الإسلامي": إن علماء الشريعة من المتخصصين حددوا شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل في حالة واحدة فقط هي سداد الديون، أما ماعدا ذلك من باقي الأمور، فيجب أن تتساوى شهادة المرأة مع الرجل. وأضاف، بحسب جريدة "عكاظ" السعودية: إن ذلك يرجع لقلّة اشتغال النساء بهذه الأمور وهي الديون، بل رأى بعض الفقهاء أن النص القرآني يمنح المرأة في هذا الإطار الخاص ميزة إضافية، وهي أن تراجع إحدى المرأتين شريكتها في الشهادة. وأكد أبو المجد أن المساواة بين المرأة والرجل فيما يتعلق بأمور الشهادة كاملة أمام القضاء، أيدها بعض الفقهاء وكثير من المحندين المعاصرين. وقال أبو المجد: إن الأمر في شأن وسائل الإثبات أنها وسيلة لغاية، وهي إصال الحق وإقامة العدل، وهي وسيلة أكثر دقة وسلامة في الوصول إلى هذه الحقيقة، لا بأس ولا حرج من الأخذ بها.

## دكتوراه للعلي حول خطاب المرأة

الكويت: حصلت الروائية الأدبية والباحثة الكويتية فاطمة العلي، على درجة الدكتوراه بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة، بعد إجازة أطروحتها العلمية حول (النص المؤنث وحالات الساردة) وهي دراسة تحليلية لخطاب المرأة في الرواية العربية. ويأتي حصول الأدبية العلي على الشهادة بالتزامن مع تعزيز دور النساء ومشاركتهن في الحياة العامة، ومع دخول المرأة الكويتية لمعترك الانتخابات لمجلس الأمة، ومواكبتها للنجاح في مختلف الميادين بعد أن أصبحت شريكاً للرجل وتنبؤاً أعلى المناصب القيادية. ويعد مضمون أطروحة العلي هو الأول من نوعه على مستوى الوطن العربي والخليج، وتناولت حالات المرأة الساردة في الرواية العربية منذ القرن التاسع عشر، وتجاذب التيارات السياسية المؤيدة والمعارضة للمرأة في التعبير عن ذاتها، وصراع المحافظين والمجددين في الدفاع عن قضايا المرأة وحقوقها ومساواتها مع الرجل.

وتناولت الأطروحة حالات وأشكال الإفصاح والتعبير لدى المرأة منذ شهرزاد وليالي ألف ليلة وليلة، وحتى الآن وانتقالها من دائرة الكلام اللفظي إلى المكتوب ومن ليل الحكى إلى نهار الكتابة والتطور التاريخي للإفصاح عن المرأة. واعتبر المشرف الناقد لهذه الأطروحة العلمية الأستاذ الدكتور صلاح فضل، بأنها الأطروحة الأولى التي تقدمها باحثة بارتجال كامل دون العودة إلى النص، وإنها دراسة علمية تعد مرجعاً للباحثين تقنيّة وفنية بحثية علمية. يذكر أن الأدبية العلي نالت درجة الماجستير من القاهرة بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، في دراستها حول (الحراك الاجتماعي في القصة القصيرة في الكويت)، وهي دراسة فنية سيولوجية بعد أن أنهت المرحلة الجامعية من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة.



# حرية المرأة بين الأمس واليوم

عبد الفتاح القلقيلي

غير زوجته فإنهم يحملون فعله على وجه مُرضٍ، ويعتدرون عنه بقولهم إن امرأته غير رائعة».

ويزعم البعض أنه يحق للرجل أن يتحكم بحياة المرأة وجسدها وعواطفها، لكونه يحميها وينفق عليها. مع أن مراجعة أمانة لأي كتاب سماوي لا تقود إلى حق الرجل بالتحكم بالمرأة لكونه يحميها أو ينفق عليها، فمن حق الإنسان، المرأة كما الرجل، أن يأكل وأن يلبس وأن يعمل، وأن يفكر. لكننا نجد ارتباط الوصاية بالإطعام والإكساء قد جاءت من فاعلية «التملك» و«الملكية» التي أجازها عرف القبيلة لابنائها دون بناتها. ومرة أخرى نجد الشدياق أكثر جراً، حتى من تقديمي اليوم، عندما يقول: «لا ينبغي أن يحسن أن مجرد إطعامه للمرأة، والباسه إياها، منة عليها، فإن حقوق المرأة أكثر من أن تذكر».

ولو جئنا إلى أدبيات التقدمين، لوجدناها مغايرة لسلوكهم. فالكثير من النساء اللواتي اشتغلن بحقل المعرفة والتنظيمات والأحزاب، وصادف أن كان عملهن مع الرجال، اصطدمن بمواقف هؤلاء التقدمين المتخلفة، فاضافة إلى استغلال مشاعرهن، والتقرب إليها بسبل الإغواء والإحتواء، نجدهم قاصرين بالفعل عن طرح أي تصوّر عملي يجعل من المرأة كياناً حراً فاعلاً... خذ الأحزاب التقدمية العربية، فلا نجد أي امرأة قدصعدت إلى قياداتها إلا ما ندر. في حين أن المرأة في أكثر البلدان الآسيوية تخلفاً، تقود مجتمعات متعددة القوميات والأديان، كالهند، وباكستان، وبنغلاديش، والفلبين. أما في البلاد العربية فقصور نظرة المجتمع للمرأة جعلها غير مقبولة لأن تكون وزيرة- إلا ما ندر- دون أن تتقدم خطوة لأن تصبح رئيسة حزب أو رئيسة دولة باستثناء ترشح سميحة خليل لمنصب رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية مقابل ياسر عرفات العام ١٩٩٦.

إذا بقي وضع المرأة في مجتمعنا بهذا الشكل، وبقيت المرأة راضية بدائرة التخلف متقبية شرّ النفوس التي ترى حرية المرأة عبياً، وترى إنسانية المرأة فقراً على التقاليد، والتخلف هو الإصالة. إذا بقيت المرأة العربية تراقب غيرها من النساء اللواتي حاولن شقّ طريقهن نحو الحرية والنور بإبداعهن وبثقافتهن وقوة إرادتهن، وتلوكن بلسانها وتضفي طابع النسوة على كلمة الحرية وإبعادها عن أهدافها النبيلة والإنسانية. وإذا بقي الرجل يفخر بزوجة سانحة لا تناقش في أمور الحياة، ولها قم يأكل وليس لها قم يتكلم، إذا بقي كل هذا فسوف لن يجد من يهتم أمر التطور الاجتماعي مجالاً للانتصار العملي لقضية المرأة.

لعل المرأة العربية اليوم من أكثر الفئات الاجتماعية تخلفاً، ليس بحكم تاخرها عن التعليم، ولا تاخرها عن احتلال مواقعها ضمن السلم الوظيفي والإداري فقط، وإنما لقصور ما في النظرة التي يفرضها المجتمع عليها. وبالطبع، عندما نقول المجتمع، لا نعني الرجل وحده، بل والمرأة نفسها، خاصة تلك النساء اللواتي ارتضين فكرة القمع الرجولي لهن. وهذه نظرة حديثة ذات جذور قديمة.

نريد من المرأة أن تحتل موقعها، ليس في بيتها فحسب، كصنو للرجل في المسؤولية، وإنما أيضاً في المجتمع، بوصفها طاقة كبرى يمكن أن تسد نواقص كثيرة لا يستطيع الرجل سدها.

يقول ابن رشد: «إن معيشتنا الاجتماعية الحاضرة لا تدعنا ننظر ما في النساء من القوى الكامنة، فهي عندنا كأنها لم تخلُق إلا للولادة، وإرضاع الأطفال، ولذلك تُفني هذه العبودية كل ما فيها من القوة على الأعمال العظيمة. وهذا هو السبب في عدم وجود نساء رفيعات الشأن عندنا...».

نظرة ابن رشد هذه، التي كانت في القرن الثاني عشر الميلادي، هي نظرة متقدمة على آراء العديد من النخبة العربية الحالية حيث تربط بين التخلف الاجتماعي-الاقتصادي وتخلف المرأة.

وإذا ما جئنا لمفهوم الشرف، ففي اللغة تعني كلمة الشرف من علًا (دينياً ودنياً). وتشرف الرجل «نال شرفاً»، وذو شرف «من كان من السلالة النبوية»، ولم ترد هذه المفردة في القرآن الكريم، ناهيك أنها لم تقترن بالفعل الجنسي. وكان الزاني والزانية سواء أمام الشرع. ولكن بانحطاط الحياة الاجتماعية اللاحقة صارت المرأة جزءاً من ملكية الرجل في الأسرة، سواء كان زوجها أو أخواه أو حتى ابناً؛ وبذلك صارت علاقتها بزوجه بدون إذنه اعتداءً على شرفه وانتهاكاً لحياضه. ومن الغريب أن هذا الشكل من العلاقة بين الرجل والمرأة ما زال مقبولاً لدى العديد من النخب العربية، رغم أن أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨) انتقد ذلك قبل أكثر من مائة وعشرين عاماً (في كتابه الساق على الساق)، حيث قال محتجاً: «ولو أن الناس سمعوا مثلاً بأن امرأة متزوجة تحب غير زوجها لأنكروا عليها ذلك كل الإنكار، واستفزعوا غاية الاستفضاع فتطلب الطبول وترمز الزمور وتكتب الكتب، ولا يبقى في البلد أحد إلا ويروي عنها حكاية أو ترهه. فإذا ما سمعوا عن الرجل أنه يحب

## مائة عام على مرور ذكرى النكبة

بقلم: أحمد عرار

ما الذي سيختلف بعد أربعين عاماً من الآن؟ هل سنحيى الذكرى المائة للنكبة أم سنحتفل بتحرير الأرض وقيام دولة فلسطين؟

يقول محمد بريش خبير الدراسات المستقبلية إن معرفة المستقبل ليست تخميناً وليست أمنيات وأحلاماً لكنها دراسة للواقع، واستكشاف للتيارات الغالبة والباحث المستقبلي يبدأ من دراسة الواقع المعاصر بناء على مآلات ممكنة، ومستقبلات تراء، فالقضية ليست اهتماماً بما سيقع بعد ٢٠ أو ٣٠ سنة بقدر ماذا سيقع لو أننا اتخذنا القرار الفلاني، والفلاني بعد سنوات محدودة. فالقرارات المزمع اتخاذها الآن هي التي تحدد شكل المستقبل.

إن المدارس الموضوعية للواقع العربي وحتى المنحاز لقضيته العربية، يستطيع أن يعترف بأن الخطاب القومي العربي ظل حتى الآن، خطاباً أيديولوجياً ورومانسياً، كما يعبر عن ذلك منظوقه ومضمونه، فهو ميتافيزيقي في تعريفه «الهوية» القومية العربية، وهو أيديولوجي في تصوره المشروع القومي العربي، في ماضيه القريب ومستقبله المفترض، وهو رومانسي في تحديد مكانة العرب والقومية العربية ضمن التاريخ الإنساني، المعاصر منه والمستقبلي.

فليست «الهوية» القومية في هذا الخطاب مشروعاً للنضال مستقبلياً مفتوحة على احتمالات التاريخ، وقابلة من منطلق الإرادة الواعية لأن تخضع لصيرورة معقدة من التشكل والتطور، وأن تتمتع بتاريخية خاصة وباستقلالية نسبية عن الأيديولوجيات، بل هي ليست فيها حتى ذلك التصور الذي يمكن أن يكون مشهوداً إلى مرجعية تاريخية ما «تلعب فيه دور الشحنة الرمزية» التي تلهب النضال القومي وتحافظ له على حرارته، وإنما هي في هذا الخطاب معطى جاهز ثابت متحقق في التاريخ، إنها حقيقة ماضوية تقع في زمان ما ومكان ما، لكن ميزة هذا الزمان أنه زمان غير تاريخي، أو هو لا يبقى في هذا الخطاب تاريخياً (من حيث هو زمان الماضي)، بل يصبح زماناً مطلقاً خارج التاريخ، يفيض عن حدوده ليطول الحاضر والمستقبل، كما يؤكد ذلك المفكر المغربي عبد الله العروي في كتابه المهم العرب والفكر التاريخي.

أسئلة كثيرة هي غيضة من فيض لم يهتم لها الخطاب القومي العربي، وأسئلة لم يتسع لها نظامه الفكري المغلق على البداية، فيما لن يتاح للخطاب القومي أن يتأسس جاداً على غيرها. إذ ليس بالبداية، وليس بالحقائق المطلقة سيواجه العرب مصيرهم. بل بالسؤال القلق، وبال معرفة الموضوعية المتسلحة بالتاريخ، والمتحررة نسبياً على الأقل من تأثير الأيديولوجيا كما يقول عبد الإله بلقزيز بأن: «نظام الخطاب القومي سرعان ما يهتز ببداياته المتكسفة حين يجابه أسئلة كهذه». فالمشروع القومي العربي إما أن يتأسس على الحقيقة والتاريخ (ضمنانته الوحيدة) أو لا يكون، فخطاب «الهوية» لا يقف عند حدود الماضي فقط، ولا يكشف عاهته هنا فقط (وليت الأمر كان محصوراً عند هذا الحد)، بل إن مأساته الفعلية واقعة في ذلك التماثل الذي يقيمه بين الماضي والحاضر بصورة يتوقف فيها الزمان التاريخي ليحل محله زمان المطلق. الحاضر استمرار طبيعي للماضي، ونتيجة له، حلقات التاريخ متصلة، إيقاعها ثابت، والبداية (بذرة التاريخ) هي هي النهاية: «دائرة يرتسم فيها الزمان لتتغلغل على التحول». إنه المطلق، ذلك المبدأ الذي يحكم الخطاب القومي العربي ويصدر عنه.

إن دعوات إحياء وبعث الشخصية القومية العربية التي ينادي بها الرومانسيون العرب، كعزمي بشارة مثلاً، كناية عن مصادرات، إنه منطلق البداية الذي يجيز ذلك الإقرار

## ما لم نقله شهرزاد

## وحدك انتظاري

كوثر الزين

رسمتك نغماً على شفتي، وغنيتك حتى الانتشاء وحتى الانتماء. حتى إذا ما اقتربت منك صرح صوتي بدمع الغناء.

لم تخرجني مني يوماً يا من حبك من خلف جدار، ومن خلف حجاب، ولكنني بقيت خارجك طوال الوقت، فهل تدرين يا قدسية الروح أنك نائمة في الشغاف تنقلين خافقي، حيث شئت من الهوى والوجع؟.

يا مهجة الهوية المبتورة الأوصال، أنت يا قدس. أكان لا بد لصوت (تميم البرغوثي) أن يحك موقع الجرح اللاملتئم بقافية شائكة حتى يعاود النزيه طوقسه البدائية بين الضلوع.

أكان لا بد للقلب أن يذبح للمرة اللانهاية على مسلخ الألم وتميم يردد من منابر الشتات:

(مررت على دار الحبيب فردنا

عن الدار قاتون الأعادي وسورها)

وإذ يرتفع صوته بالانشيد المر، يتصدع الهواء وتتشعر الأرض من انسحابك خلف السياج، أنت يا قدس الروح، يا قدر التاريخ المشوه بحبر الزور ومقصّ مفصلي الخراط العشوائية الجائرة. وأنا رفيقة السندباد التائق إلى مرفك المستحيل. لطالما أعدت باحة مسائي لأستقبل نسمة شاردة من تغرغ المنادي (وامعصماه....).

هل تدرين يا طعنة العروبة في صميمها أنني كتبت هذا المتن بريشة من ضلوعي غمستها في مداد العين وأنا أستعيد لقاءات قصيرة وبعيدة ووحيدة بيننا؟

كان تقاطع التاريخ موعداً للقائنا، وما أنا ذا لم أطاك منذ أكثر من سبعة أعوام وأنت هناك على مرمي نظر أو حجر؟ قبل إن جداراً ارتفع بيننا. فتساءلت من وجعي: ومتى اختفى الجدار؟

أذكر أننا التقينا ذات سهو، وقد تحسست خطايا التاريخ على رضوض جسدك القدسي، وهالتني جرائم الجغرافيا العمياء. قفزت من فوق صدئ الدم لأمس طهرك برموش القلب المبللة بندى العيون. كانت اللحظة مشحونة بكل توتر الرؤيا وكهرباء المشاعر الفائرة. قرأتك منذ أول سطر حين رأيت كل أجدادي القادمين من نسل كنعان ومن عهدة عمر لأهل إيلياء، يعبرون الرصيف المقابل ملوحيين بابتسامتهم. كانت الشعيرية أقوى من احتمالي، وكان تاريخك المكتوب على راحتك أثقل من حضور العابر في الزمان والمكان.

كان تاريخك كوجهك القدسي لا يشبه أحداً سواك. وأنت الوحيدة بين المدائن، وعيناك نهداً مداد احمر ينبعان من عمق الذاكرة ويصبان في بحر اللحظة المائج بالغرق.

تعرّج قلبي داخل السور العتيق متخذاً شكل الأزقة، بعد أن دخلت جنة الحلم من باب الجحيم، والزبانية يرفعون رشاشاتهم في وجه من وطئوا الصراط، لأمس الصخرة بدمعة شردت من لا وعي القهر المكبوت. أذكر أنني صليت تحتها وحولها وتمسحت بريح الأنبياء وعيق الفاتحين. وحين انحنيت بهامتي نحو اليمين رأيت الصليب ما زال مرفوعاً يواصل طريق آلامه.

أشتاقك الآن كأني غريب، وأنا الغريبة أبحث عن وطن قلبي بين أضلاع أسوارك الدامية بالقيود.

يغريني طريق القدس - رام الله بالمرور عبره إليك، فأجد نفسي في كل مرة لا أتجاوز رام الله، حتى ليبدو سور الصين أقرب منك وصولاً إليه.

يفيض قلبي عن كلمات لا يتسع لها قلبي، فيسعفني هارون هاشم الرشيد بقوله:

(احبك يا قدس لا تساليني)

لماذا

وكيف

وماذا أحب

فإني حملتك جرحاً دفيناً

باعماق قلبي

وناراً تهب)

تهب النار ويواصل الحريق رقصته على أطراف الوجع، بينما يواصل صوت تميم عزف قيثارة الجرح فوق ركح القوافي. وتبقين وحدك انتظاري.

## الفن وخطاب التحريم

مهند عبد الحميد

تحت عنوان «الفن وخطاب التحريم»، ألقى المفكر الأكاديمي المصري نصر حامد أبو زيد محاضرة قيمة في الجامعة الأميركية بالقاهرة. تحريم الفنون لا يقتصر على اتجاه إسلامي في مصر بل يمتد إلى البلدان التي تشهد نفوذ الإسلام السياسي.

نحن في فلسطين نعيش هذه المشكلة فقد جرى مؤخراً تحريم مهرجان الرقص المعاصر في رام الله، لكن المحاولة فشلت ونجح المهرجان، ومن قبل منع مهرجان الغناء والديكة في قلقيلية، ومنع عمار حسن من الغناء في جامعة النجاح، كما منعت مسرحية «بالك بتهون» في قبالن وبرقة سلفيت بسبب مشاركة فتيات في التمثيل واعتبار المسرح شيئاً متعارضاً مع الدين.

الفن لم يكن في أي وقت محرماً في الإسلام يقول أبو زيد المختص بالدراسات الإسلامية واستعان بنص سيد قطب في كتاب (التصوير الفني في القرآن) الصادر عام ١٩٤٥ يقول فيه: «عبقرية القرآن في البيان والقدرة على التصوير قبل أن يكون كتاب أخلاق وتشريع»، التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن.

وأضاف «خطاب التحريم ليس الخطاب الديني فقط ولكنه تحريم عام يسود المجتمعات العربية بأسرها ويشمل كل شيء من تحريم سياسي وتحريم اجتماعي وتحريم فني وأكاديمي واستخلص نتيجة تقول: الحياة بلا فن بدون رواية وسينما ومتاحف وموسيقى ورقص وشعر هي حياة خواء تسود فيها ثقافة امتلاك الحقيقة المطلقة، ثقافة الاستبداد التي تدعي حماية الناس».

واعتبر أن الخلاف حول الفن، هو خلاف حول القيم الأخلاقية، وهذا يطرح سؤالاً مفاده: إلى أي حد مسموح للفن أن يتجاوز حدود القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع؟ ودعا إلى الفصل بين القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع وبين الدين، قد تكون بعض القيم الأخلاقية مرتبطة بالدين، لكن ليست كل القيم الأخلاقية لها جذور دينية. وتوقف عند مشكلة الخطاب الديني في تعريف العقل وغياب النقد ليصبح الإنسان بحاجة في كل كبيرة وصغيرة إلى مُوجِّه. المشكلة ليست بوجود خلاف أو تعدد في الرؤى، المشكلة تكمن في القفز عن المحاجة والتسرع بإطلاق الأحكام وفي مقدمتها التحريم.

وعندما يكون الخلاف حول تفسير النص بوجود مدارس ومرجعيات تقدم أكثر من رأي وأكثر من تفسير يتحول الأمر إلى احتكار رأي دون سواء بدون سند قاطع وباستخدام الترهيب، وتتعاظم المشكلة عند محاولة البعض احتكار تفسير واحد ومحاولة فرضه بالتحريم، وهذا هو الاستبداد.

في مصر تصاحب المختلفون سابقاً وراهناً، واتخذت قرارات ومواقف تحريم جائرة كما حدث مع نصر أبو زيد.

وعندنا كان كل شيء يحدث بدون نقاش أو عرض للأراء، وكان يستطيع أي طرف ممارسة (النقض) أو التحريم بدون حجج. ولكن ثمة تطور حدث في فلسطين عندما جرى تحريم مهرجان الرقص في رام الله، فقد انطلق سجلاً مهم أفضى الى استمرار المهرجان، وكان سجلاً مماثلاً قد حدث حول قرار إعدام كتاب (قول يا طير) في التراث وأفضى إلى انقاذ الكتاب.

ومحصلة التجربة تقول: بالحوار نستطيع معرفة حدود الخلاف، وبشرعية الاختلاف على أساس حرية التعبير والتعدد والتنوع تغنتي الأفكار ويحدث التطور.

## دروب المعرفة

بأكثر المناطق حساسية في النفس البشرية. ارتبط الكثير من الأعمال الأدبية والفنية العربية والعالمية بالغجر وأغانيمهم وقصائدهم. الشاعر الإسباني لوركا يعد واحداً من الشعراء الكبار الذين التفتوا إلى تلك القيم الشعرية في حياة الغجر وتراثهم في ديوانه حكايا غجرية، فيكتور هوغو الروائي الفرنسي كانت بطلته الغجرية أزميرالدا في أحدب نوتردام، حنا مينا كتب رواية الأرقش والغجرية وغيرهم كثر.

### التحليل النفسي لعقيدة العنف الصهيوني

جاكلين روز الباحثة البريطانية اليهودية تقدم تحليلاً نفسياً شديد الهدوء والقوة في كتابها الجديد «القضية الصهيونية»، للعقيدة التي لم تكن مسؤولة فقط عن تدمير بيوت الفلسطينيين وانما عن تشويه الروح اليهودية. تحلل روز مناطق اللاوعي داخل الصهيونية، وتدرس ارتباطها بالجنون والمهانة والعنف. تقارن الشخصية اليهودية التاريخية «شبتاي» بشخصية تيودور هرتسل، بين واقعة الخلاص القديمة وبين الصهيونية وتصل إلى نتيجة: إن العقيدة التي تقوم على هذه المفارقة المدمرة فقدت براءتها. والمهمة الخلاصية في الحالين هي رفع الشر إلى مرتبة القداسة وليس الاكتفاء بمحقق عالم الشر.

مجاز الجنون كان كامناً في ذهن الكثير من رواد المشروع الصهيوني وما زال متحكماً في العقليّة الصهيونية، يقول حاييم فايتسمان: «من حسن حظ الصهيوني انه يعتبر مجنوناً، فلو كنا طبيعيين لما فكرنا بالذهاب إلى فلسطين بل بالبقاء حيث نحن كما يفعل الأسوياء».

والجنرال موسى يعلون لا يهيمه إن ظهر الجيش الإسرائيلي وكأنه مجموعة من المجانين «أثناء عملية مخيم جنين».

الربط بين الجنون وفكرة الخلاص لدى حركة غوش إيمونيم يلعب دوراً نفسياً وسياسياً في دراما الخلاص القومية، يبدو الأمر وكأن الأمة قد وافقت ضمناً على منحهم ارث أعنف آمالها الخلاصية، وهؤلاء ترى فيهم الكاتبة أفراداً مختلفين عقلياً. كان للهولوكست دور كبير في عدم سواء النفس اليهودية كما تقول روز، وتضيف لم تتجه مسيرة القمع فقط من النازيين إلى اليهود إلى الفلسطينيين، لقد ارتدت كذلك إلى النفس الإسرائيلية تشوه شيئاً ما فيها. وتروي الكاتبة حادثة غريبة مفادها أن عرضاً لأوبرا فاجنر حضره كل من هرتسل وهتلر من دون أن يعرف أحدهما الآخر وكان هذا العرض هو ما أوحى لهرتسل بوضع كتابه «الدولة اليهودية» ولهتلر كتابه «كفاحي»!!.

### تحديات أمام المرأة المبدعة

يختلف وضع المرأة المبدعة وطريقة تشكلها والإمكانات المتاحة لها عن وضع الرجل، الثقافة السائدة وضعت المرأة بطريقة أو بأخرى في مكانة أدنى من الرجل. دخلت المرأة إلى ميدان الإبداع تحاصرها الأفكار المسبقة وتحيزات المجتمع الذكوري، ما جعل عدد النساء المبدعات أقل كثيراً من عدد الرجال المبدعين. المرأة تمارس الإبداع حين تقوم بالتطريز وتزيين البيت وابتكار حكايات للأطفال ودخلت أيضاً عالم المبدعين سواء كانت شاعرة أو روائية وممثلة ومخرجة سينمائية وفنانة تشكيلية أو عازفة أو مؤلفة موسيقى. المرأة المبدعة نبذل جهوداً مضاعفة كي تتمكن من امتلاك أدوات الإبداع ومفاتيحه. الشاعرة السعودية فوزية أبوخالد تصف بدقة الصعوبات فتقول: دوري كام تحبل وتلد وترضع وتربي وتلعب مع أطفالها، دوري كامرأة عاملة تعصرها الوظيفة، وكجارة لا بد ان تجامل التجمعات النسوية من حين لآخر، دوري كصديقة تحتاج إلى حنان الصديقات، دوري كابنة عليها ألا تقول أف، ودوري كزوجة عليها ان تكون امرأة متزنة ومتزمتة في النهار وغانية خليعة في الليل ولودا ودودا في كل الأوقات، دوري كشغالة وطاهية في المنزل، في هذه الأثناء تدخل الكتابة برعونة وطيش بيني وبين أدواري الحياتية كلها وتخرب العلاقة بيني وبينني. وقد لا تمتلك المرأة المبدعة مكتبا خاصا بها أو حجرة مكتب تتأمل عالمها وتعيد ترتيب أفكارها، وربما لا تستطيع أن تعيش من عائد عملها كمبدعة.

### الغجر.. مشاعة منذ ١٠٠٠ عام

جماعة بشرية لا تنتمي إلى وطن أو بقعة جغرافية بعينها، أطلق عليهم اسم الغجر، الزط، الدوم، النور، جيتانز، زانجي ، جنكنة وجبسي الإسم الأكثر شهرة في بريطانيا والولاية المتحدة. الغجر لا هم بقايا شعب ولبسوا جنساً أو حزباً ولا طائفة ولا أتباع ديانة منقرضة، ما اتفق الجميع عليه هو تعلقهم بالرحيل المستمر وعشقهم المفرط للحرية ولولعهم بالرقص والغناء وامتهانهم مهنة إدخال البهجة والفرح إلى نفوس الآخرين.

موسيقاهم حزينة ورقصهم مثير وملابسهم زاهية. الغجر هم أول من ابتكر رقصة الفلامنغو الشهيرة وعزفوا موسيقاها العذبة، وأسسوا رياضة مصارعة الثيران. اعتنق الغجر معظم الديانات التوحيدية والبوذية والسيخ والزرادشتية.

الغجر كلمة لها سحرها ومدلولاتها تقترن بأشد حالات الجمال وحشية، وتلتصق

### إضاءات قانونية

## قانون الأحوال الشخصية العراقي ١٨٨ للعام ١٩٥٩

الحبس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

المادة الخامسة والعشرون

٢- لا تلزم الزوجة بمطاعة زوجها، ولا تعتبر ناشراً إذا كان الزوج متعسفاً في طلب المطاعة قاصداً الإضرار بها أو التضيق عليها، ويعتبر من قبيل التعسف والإضرار بوجه خاص ما يلي:

أ- عدم تهيئة الزوج لزوجته بيتاً شريعياً يتناسب مع حالة الزوجين الاجتماعية والاقتصادية.

ب- إذا كان البيت الشرعي المهياً بعيداً عن محل عمل الزوجة، بحيث يتعذر معه التوفيق بين التزاماتها البيئية والوظيفية.

المادة التاسعة والثلاثون

١- على من أراد الطلاق أن يقيم الدعوى في المحكمة الشرعية يطلب إيقاعه واستحصال حكم به فإذا تعذر عليه مراجعة المحكمة وجب عليه تسجيل الطلاق في المحكمة خلال مدة العدة.

٢- تبقى حجة الزواج معتبرة إلى حين إبطالها من المحكمة.

٣- إذا طلق الزوج زوجته وتبين للمحكمة أن الزوج متعسف في طلاقها وإن الزوجة أصابها ضرر من جراء ذلك، تحكم المحكمة بطلب منها على مطلقها بتعويض يتناسب وحالته المادية ودرجة تعسفه، يقدر جملة، على أن لا يتجاوز نفقتها لمدة سنتين علاوة على حقوقها الثابتة الأخرى.

المادة التاسعة والثمانون:

الوراثة بالقرابة وكيفية توريثهم

المساواة بين الإناث والذكور في الإرث.

المادة ٢٥

عدل قانون ١٨٨ لعام ١٩٥٩ بقانون رقم ١١ لسنة ١٩٦٣، وعلى وجه الخصوص المادة الخاصة بالإرث،

وحتى نهاية عقد اللمانيينيات، من القرن المنصرم، تعرض القانون إلى أكثر من عشرة تعديلات حكومية، خصت التفريق بين الأزواج، وجعلته على أساس الموقف السياسي والامن.

في عام ٢٠٠٣، جرى إلغاء القانون، بالقرار المرقم (١٣٧)، إلا أنه واجه معارضة قوية، حتى ألغي قرار الإلغاء بعد تصويت الأثرية في مجلس الحكم ضده.

وأخيراً استبدل القانون ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ بالمادة (٣٩) من مسودة الدستور الدائم. وهي عودة إلى ما قبل تأسيس الدولة العراقية، وتعدد الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية.

قامت الثورة ضد الملكية في العراق بتشريع قانون الأحوال الشخصية، الذي أعاد الاعتبار للمرأة العراقية المسحوقة في عهد الاقطاع وكبار الملاك. القانون أقر مساواة المرأة بالرجل في الميراث، وشهادتها في المحاكم تعادل شهادة الرجل، وحظرت تعدد الزوجات إلا في حالات استثنائية.

القانون أعاد للمرأة اعتبارها كإنسانة لها كرامتها وشعورها بأدमितها، وفسح المجال أمامها لتلعب دورها الكامل في بناء الأسرة والمجتمع ومساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات.

المادة الثالثة:

١- الزواج عقد بين رجل وامرأة تحل له شرعاً غايته إنشاء رابطة الحياة المشتركة والنسل.

٢- إذا تحقق انعقاد الزوجية لزم الطرفين أحكامها المترتبة عليه حين انعقاده.

٣- الوعد بالزواج وقراءة الفاتحة والخطبة لا تعتبر عقداً.

٤- لا يجوز الزواج بأكثر من واحدة إلا بإذن القاضي ويشترط لإعطاء الإذن تحقق الشرطين التاليين:

أ- أن تكون للزوج كفاية مالية لإعالة أكثر من زوجة واحدة.

ب- أن تكون هناك مصلحة مشروعة.

٥- إذا خيف عدم العدل بين الزوجات فلا يجوز التعدد ويترك تقدير ذلك للقاضي.

٦- كل من أجرى عقداً بالزواج بأكثر من واحدة خلافاً لما ذكر في الفقرتين ٤ و٥ يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة أو بالغرامة بما لا يزيد على مائة دينار أو بهما.

٧- استثناء من أحكام الفقرتين ٤ و٥ من هذه المادة يجوز الزواج بأكثر من واحدة إذا كان المراد الزواج بها أرملة.

المادة السابعة

١- قرر القانون سن الزواج بثمانية عشرة سنة للجنسين، وترك مجالاً للقاضي يحدد فيه سن البلوغ بأقل من ثمانين عشرة

المادة التاسعة

١- لا يحق لأي من الأقارب أو الأغيار إكراه أي شخص، ذكراً كان أم أنثى على الزواج دون رضاه، ويعتبر عقد الزواج بالإكراه باطلاً، إذا لم يتم الدخول، كما لا يحق لأي من الأقارب أو الأغيار، منع من كان أهلاً للزواج، بموجب أحكام هذا القانون من الزواج.

٢- يعاقب من يخالف أحكام الفقرة (١) من هذه المادة، بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات، وبالغرامة أو بإحدى هاتين العقوبتين، إذا كان قريباً من الدرجة الأولى. أما إذا كان المخالف من غير هؤلاء، فتكون العقوبة السجن مدة لا تزيد على عشر سنوات، أو

الحصانة، بحيث يكون أي مسؤول خاضعا للرقابة والمحاسبة وتكون جميع المناصب في الدولة بالانتخاب الحر المباشر، علاوة على إلغاء جميع القوانين والتشريعات أو البنود في الدستور التي تفرق بين المواطنين على أساس النوع أو الجنس أو الدين أو الطبقة أو الحزب... كما طالبت فصل الدين عن جميع القوانين بما فيها قانون الأحوال الشخصية، وإلغاء جميع القوانين المقيدة للحريات بكافة أنواعها وجميع الشروط القانونية والمالية. تقول السعداوي في كتابها "أوراق حياتي". كانت الكتابة منذ طفولتي هي ملاذي الوحيد، أهرب إليها من الأم والأب والعريس، وبقيت الكتابة في كهولتي أيضا الملاذ الوحيد، أو الأخير، التصالح الممتع من خلال الكتابة مع الماضي والحاضر، مع كل ما أصابني في الوطن من جراح.. في هذه السيرة تتحول الكلمة عندها إلى فعل نادر إلى عمل شجاع، يصدم القارئ أحيانا إلا أنه يجبره على الخروج من القوقعة، يستفزه لمواجهة الذات والآخر دون قناع. تغير العالم من وجهة نظر السعداوي يكون عبر: إسقاط الرأسمالية الكونية، إحلال الاشتراكية، وتحقيق العدل المثالي والحب. التقت السعداوي مع شريك حياتها على هذه المبادئ الثلاثة منذ ثلاثين عاما....

الحب الذي تنشده السعداوي في كتابها "تعلمت الحب"، ليس هو الحب العادي بين رجل وامرأة، أب وولده... فهذا الحب لا فضل لنا فيه، ولكننا فيه سواسية... ولكنها تنشده الحب الذي يبذله الإنسان والطبيب خاصة لغيره دون أن يأخذ شيئا، إلا تلك السعادة النفسية التي تعلمه كيف يتقبل الحياة بما فيها من خير وشر. فيحب الأختار، ويعطف على الأشرار حتى يلتمسوا السبيل إلى أن يكونوا أختارا.

وكتابها الإشكالي "سقوط الإمام" خلق ضجة كبيرة، فعندما يأتي دورها لتخرج إلى الحرية تلمحها عيون الإمام تجري هاربة في الظلمة، تكاد تفلت قبل طلوع الفجر لكن الطعنة تصيبها في ظهرها. قبل أن تسقط تتساءل لماذا تتركون الجاني وتذبحون الضحية؟! وتتلاشى الأصوات ويصبح عقلها بلون الظلام وذاكرتها سوداء أو بيضاء بلا حرف إلا اسم "إمها"... شخصيات ومومز وذاكرة تعي أحداث، تسطر حروفها في داخل الروح... وأنات واستغاثات تتصاعد معلنة الانفلات من الأسار لتعلن واقعا مؤلما، مع، قبل، وربما بعد "سقوط الإمام".

وتقول في "مذكرات طبية": كل ماسي المجتمع دخلت عيادتي... كل نتائج التحفي والخداع استلقت أمني على منضدة الكشف... الحقائق المرة التي ينكرها الناس جاءت وتمددت تحت يدي على منضدة العمليات... وأشفت على الناس... كانت الطبيعة بحاجة في لحظة من اللحظات إلى من يداويها... يداوي آلامها وآلامها التي انبعثت وتفجرت مع لحظات انبثاق أنوثتها، المجتمع بتداعيات معتقداته... والأهل بسجن عاداتهم وأفكارهم... والنفس بهواجسها وتطلعاتها وعصيانها وتمردا، وبإذعانها! أخيرا تظل نوال السعداوي علامة بارزة في المشهد الفكري العربي، انها صاحبة مدرسة فكرية في تحرير المرأة والمجتمع، تمتعت بمقدرة استثنائية بارعة في طرح تفاصيل العالم الداخلي للمرأة، وفي تسليط الضوء على المستور في علاقة المجتمع الذكوري بالمرأة. لا يمكن المرور على مكتشفاتها من الكرام سواء من موقع الإختلاف أو من موقع الاتفاق. كان رصيدها من البحث العلمي ضخما من حيث الكم والكيف، وكانت رائدة في التنوير. ومن المفارقات الغريبة أن الغرب الأكاديمي يبدى اهتماما كبيرا بمؤلفاتها قراءة وحوارا ويعتمد كتبها في جامعاته من موقع الاتفاق والاختلاف. وعندنا في العالم العربي لا تخضع مؤلفاتها للدراسة والنقد الموضوعي، بل تحاكم بتسرع ويتم رؤية عناصر الخلاف فقط، وتحاكم وفقا لذلك فقط.

التحفيين اللاواعي ودلالاته الجنسية.

وفي الفصل السابع من الكتاب يطرح "كي" وجهة نظر إشكالية مثيرة للاهتمام - وللجلد أيضا- مفادها أن الفن الإباحي هو قضية سخيفة ما دام في إمكان الفرد (على مستوى الوعي) أن يختار البدائل، لكن الخطورة تكمن في المحفزات اللاشعورية وهي أكثر مكرًا بكثير لأنها تتجاوز الوعي بالكامل ولا تعطي أي مجال للدفاع أو اتخاذ موقف عقلاني. ويستعرض الكاتب في هذا الفصل تقنيات التضمين الخفية؛ البصرية والسمعية-التي تُستخدم في الكثير من الأفلام لتحفيز الرغبة والخوف من الموت منخذًا نموذجًا فيلم "الرقبة".

ويخصص "كي" في كتابه فصلاً كاملاً حول الرسائل اللاشعورية المخفية التي يتم هندستها لتصل إلى اللاوعي من خلال التسجيلات الموسيقية وموسيقى الروك بشكل خاص. ويشير إلى أن تلك الرسائل اللاشعورية تكون معبأة بالتحريض الجنسي والعنواني وفي الغالب تكون موجّهة إلى فئة المراهقين والشباب حتى سن العشرين. وفي تحليله لنموذج فرقة البيتلز يبحث "كي" في تأثيرها البالغ على المجتمع الغربي متوصلاً إلى نتيجة مذهشة ومريعة جداً ألا وهي: "البيتلز أشاعت، وشرعت ثقافياً؟ وبشكل جنوني- استعمال المخدرات بين المراهقين في كافة أنحاء العالم". أما التسجيلات الغنائية التي سبقت البيتلز فقد حُشرت بالرمزية الجنسية العلنية والمخفية. وفي الثلث المتبقي من الكتاب يحلل الكاتب التقنيات التي تستخدمها وسائل الإعلام الأمريكية لضمان استمرار الإدمان على الكحول والسجائر والسيطرة على جمهور المستهلكين لهذين المنتجين.

لئن كان البروفسور "كي" في كتابه هذا قد حصر بحثه في نطاق تأثير وسائل الإعلام الأمريكية على المستهلكين الأمريكيين (صدر الكتاب في ١٩٧٦) فإننا اليوم، في عصر العولمة وثورة الاتصالات والتكنولوجيا الرقمية، نستطيع أن نرى بوضوح أن وسائل الإعلام هذه، بتقنياتها المحفزة للاشعور، لم تعد تميز بين شعب وآخر، بين طفل وبالغ؛ ومع أن العديد من الباحثين قد عارضوا فيما بعد نتائج دراساته واعتبروها مبالغ بها، إلا أن الكتاب يطرح الكثير من القضايا التي تثير القلق والتي لا نملك أمامها إلا أن نطلق نداءً مقتبساً عن الكاتب: "لا تدعمهم يضعون الستار أمام عينيك وأذنك وفمك وأنفك وحواسك كلها... أيها المشتري، كن حريصاً!"



## نوال السعداوي... مبدعة إشكالية ومتمردة

نساء مبدعات

من هنا بدأت حكاية نوال السعداوي، طفلة ذبحت بسكين الجهل والخرافة، نزف دمه وكان النزف النفسي أشد. إنها آثار عهد العبودية والإقطاع والرق والجواري التي امتدت لتعشش في عقول البعض من ضعاف النفوس ومرضى العقول، فكما كان يمارس الإخفاء في العصور الإقطاعية حتى يضمن السيد أن العبد لن يلعب بذيله وحتى يضمن أن قوته الجسمانية لن تضع أقدام الرياح في النزوات، مورس الإخفاء الأنثوي" الجديد عن طريق الختان إحدى جرائم العبودية ونظامها الاجتماعي أو بقاياها المتجددة.

نوال السعداوي (ولدت في مدينة القاهرة ٢٧ أكتوبر ١٩٣٠)، ناقدة وكاتبة وروائية مصرية، تخرجت من كلية الطب جامعة القاهرة عام ١٩٥٤، وحصلت على بكالوريوس الطب والجراحة وتخصصت في مجال الأمراض الصدرية. واحدة من أجرا المثقفات على الساحة العربية أثارت بأفكارها زوبعة من النقاشات الحادة التي لا تهدأ برزت كمدافعة عن حقوق المرأة المضطهدة في مجتمع ذكوري دخلت في سجلات فكرية نقدية جريئة، أغضبت البعض وأثلجت صدر البعض الآخر. صدر لها أربعون كتاباً أعيد نشرها وترجمت كتاباتها لأكثر من خمسة وثلاثين لغة وتطور الفكرة الأساسية لكتابات نوال السعداوي حول الربط بين تحرير المرأة والإنسان من ناحية وتحرير الوطن من ناحية أخرى في نواحي ثقافية واجتماعية وسياسية. ومن أبرز أعمالها: سقوط الإمام، المرأة والجنس ١٩٦٩، الأنثى هي الأصل ١٩٧١، الرجل والجنس ١٩٧٣، الوجه العاري للمرأة العربية ١٩٧٤، المرأة والصراع النفسي ١٩٧٥، امرأة عند نقطة الصفر ١٩٧٣ الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة ٢٠٠٦

نوال السعداوي داعية تغيير للنظام السياسي طرحت في برنامجها: تغيير فلسفة الحكم لتصبح مركزية جماعية متجددة وليست هرمية ثابتة، وإلغاء قانون

كنت في السادسة من عمري، نائمة في سريرى الدافئ أحلم أحلام الطفولة الوردية حينما أحسست بتلك اليد الخشنة الكبيرة ذات الأظافر القذرة السوداء، تمتد وتمسكني، ويد أخرى مشابهة لليد السابقة خشنة وكبيرة تسد فمي وتطبق عليه بكل قوة لتمنعني من الصراخ، وحملوني إلى الحمام؟ أصبحت الدنيا أمام عيني مغلقة بضباب أسود، كل ما أدركته في ذلك الوقت تلك القبضة الحديدية التي أمسكت رأسي وذراعي وساقى حتى أصبحت عاجزة عن المقاومة أو الحركة، وملمس بلاط الحمام البارد تحت جسدي العاري، وأصوات مجهولة وهمهمات يتخللها صوت إصطكاك شيء معدني ذكرني بإصطكاك سكين الجزار حين كان يسنه أمامنا قبل ذبح خروف العيد، وتجمد الدم في عروقي ظننت أن عدداً من اللصوص سرقوني من سريرى ويتأهبون لذبحي، وأرهفت أذني لصوت الإصطكاك المعدني وما أن توقف حتى توقف قلبي بين ضلوعي، وأحسست وأنا مكتومة الأنفاس ومغلقة العينين أن ذلك الشيء يقترب من بطني، أحسست بالشيء المعدني يسقط بحدة وقوة ويقطع جزءاً من جسدي، صرخت من الألم رغم الكمامة فوق فمي، فالألم لم يكن ألماً وإنما هي نار سرت في جسدي كله وبركة حمراء من دمي تحوطني فوق بلاط الحمام، لم أعرف ما الذي قطعوه مني، كنت أبكي وأنادى على أمي لتتقنني، وكما كانت صدمتي حين وجدتها هي بلحمها ودمها واقفة مع هؤلاء الغرباء تتحدث معهم وتبتسم لهم وكانهم لم يذبحوا إبنيتها منذ لحظات، وحملوني إلى السرير ورأيتهم يسكنون أختي التي كانت تصغرنى بعامين بالطريقة نفسها التي تقننت عيني بعينيتها في لحظة سرية قبل أن يأخذوها إلى الحمام، وكأننا أدركنا معا في تلك اللحظة المأساة، مأساة أننا خلقنا من ذلك الجنس، جنس الإناث الذي يحدد مصيرنا البائس ويسوقنا بيد حديدية باردة إلى حيث يستأصل من جسدنا بعض الأجزاء.

## خفايا الإستغلال الجنسي في وسائل الإعلام

مؤلف الكتاب : نيلسون براين كي  
ترجمة: محمد الوائد  
الناشر: الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٥  
قراءة وتعليق: د. سوسن مروة

سبق للكاتب أن أصدر كتاباً قبل هذا الكتاب تحت عنوان: إغراء اللاوعي وقدم له مارشال مالكوهان، صاحب نظرية "العالم قرية عالمية"، وكان بمثابة مقدمة في اللاوعي واستخدامه في الخداع المرئي. أما الكتاب الذي نستعرضه فهو يتوسع ليتحدث عن تقنيات الخداع السمعي والشمي أضف إلى أنه يقوم على حشد الشواهد عن كيفية استخدام نظريات السلوك البشري من قبل البعض للتلاعب والتحايل على ما نشرته، ويربط البروفسور كي في كتابه بين النظريات النفسية في اللاوعي بالتطبيقات العملية للإعلام معتبراً أن العديد من الإعلانات ووسائل الإعلام الأخرى كالأفلام والمجلات والموسيقى هي مصممة لتحفيز الرغبة والتعلق المرضي عند الأفراد. وإذ يصرح المؤلف أنه لا يجادل حول مشروعية استخدام الإغواء على الشراء في الإعلان فإنه يعارض بشدة الإغراء المخادع الذي يستعمل تقنيات تتجاوز إدراك المستهلك لتتسلل إلى لاوعيه وتتلاعب به.

ومن أهم التقنيات التي يتحدث عنها "كي" "التضمين بالإخفاء" التي يتم استخدامها في وسائل الإعلام لإخفاء المعلومات بمكر وخداع. وتتلخص هذه التقنية في تضمين صورة مخفية في خلفية الصورة الأساسية؛ عندما ننظر إلى إعلان ما فإن ما نراه يسمى صورة وتلك الصورة ترافقها دائماً خلفية ما. وبينما يكون تفكيرنا منشغلاً بالصورة يدخل في مخيلتنا وعقلنا الباطن؟ بشكل لا واع- ما هو محيط بتلك الصورة (أي خلفية الصورة). وفي الإعلام تكون للصورة وظيفة المصدية (بؤرة الإلهاء) لتوصيل الرسالة الحقيقية الخفية. ورغم أننا لا ندرک تلك الخلفية بوضوح، فإنه سيتم تسجيلها في عقلنا الباطن؛ ومن هنا يرى المؤلف أن هذه التقنية هي "أحد أنواع الإخفاء التي يتم استخدامها لغزو واغتناب منطقة اللاوعي عند الشخص المتلقي. ولكن لماذا هذا الاهتمام والتركيز على اللاوعي وما أهميته في التأثير على سلوك الإنسان؟ يقول البروفسور "كي" أنه مهتم بشكل خاص بالمؤثرات اللاواعية المتعلقة بالكلمات والصور الرمزية التي لا يتم إدراكها بشكل شعوري والتي يتم تصميمها واستخدامها بشكل متعمد في وسائل الإعلام وهذه المرمرات تمتلك قوى كامنة لاشعورية ذات قيمة انفعالية تؤدي إلى التلاعب والتحكم بالسلوك البشري. وتقوم هذه التقنيات ببيع منتجات أكثر تأثيراً من المنتجات المادية مثل الأفكار والمبادئ والخيال والحالات النفسية السلوكية الأساسية التي تتمتع بها الشخصية الإنسانية. وفي سياق استناده إلى مدارس علم النفس الفرويدي يؤكد

على أن اللاوعي هو منطقة بالغة الحساسية تجاه الجنس والموت والمتناقضات. انطلاقاً من هذه الفكرة يذكر المؤلف على امتداد صفحات الكتاب شواهد كثيرة على تعمد وسائل الإعلام الأمريكية في استخدام تلك التقنيات ويشرحها مفهوماً عناصر الإغواء المخفي فيها. ففي مثال بسكويت "ريتز" يحضنا على تأمل قطع ذلك النوع من البسكويت لتصل على إدراك أن هناك إخفاء لكلمة SEX على جانبي قطعة البسكويت ويشرح كيف يتم إدراك هذه الكلمة على مستوى اللاوعي بحيث يتم إضافة أهمية عاطفية إلى قيمة البسكويت كقطع لتصبح قيمة رمزية ترتبط بالدوافع الغريزية الجنسية اللاواعية لدى المستهلك. فإسقاط الجنس على كل ما يتم إعلانه أو إظهاره في وسائل الإعلام ينسحب إلى مجال الطعام والذي يعتبره "كي" مجال النصر النهائي لوسائل الإعلام الأمريكية إذا ما علمنا أن ٦٠٪ من الأمريكيين هم من ذوي الوزن الزائد.

في الفصل الرابع المخصص للموضة، وفي معرض تأكيده على الوظيفة الرئيسية للموضة من حيث هي زيادة مبيعات الثياب، يربط بين الموضة وتأسيس وسائل الإعلام الأمريكية للنماذج الثقافية "البنيية والتشكيل البشري المطلوب". وإذا ربطنا بين كون نسبة كبيرة من الأمريكيين يعانون من الوزن الزائد وبين الإحاح ووسائل الإعلام بكل تقنياتها على بنية جسدية تمثل الكمال بعينه (من وجهة وسائل الإعلام) لا يصعب علينا استنتاج ما ستؤول إليه الحال. إن الشعور العميق بالذنب والنقص المتعلق ببنية الرجل أو المرأة الجسدية سيخلق عدداً هائلاً من المستهلكين لمنتجات تخفيض الوزن ولمنتجات جديدة أخرى تجميلية لتعويض النقص البيولوجي المتخيل. لكن نهر المنتجات الجديدة الذي لا ينضب يفشل بطبيعة الحال في تعويض هذا النقص ما يضمن مزيداً من الشعور بالنقص الذي ينتج غالباً المزيد من اليأس والاكتئاب والإحباط ما يزيد الطلب على استهلاك المزيد من الأغذية ذات السعرات الحرارية العالية والملابس الواعدة بمظهر نحيل والمزيد من المنتجات الواعدة بالقدرة على إنقاص الوزن. وفي هذه الحلقة المستمرة من الوعود والأوهام تلعب وسائل الإعلام الدور المركزي للتأجيج الدائم للرغبات المدركة وغير المدركة. ومن الطبيعي أن يكون المراهقون هم المستهدفون؟ بشكل رئيسي- من قبل وسائل الإعلام. لأن الشباب وفي خضم بحثهم عن هويتهم الذاتية يقارنون أنفسهم مع أقرانهم، عوضاً عن البحث في داخلهم لذلك تعمل وسائل الإعلام على تدريبهم لأن يروا أنفسهم مقبولين اجتماعياً مجرد أنهم يرتدون ملابس على الموضة. بالطبع، لا يقتصر دور الموضة على فئة المراهقين بل تطال النساء ولا تنحصر الموضة في الأزياء وإنما تتعداها إلى النصايم المعقدة في المجوهرات الحديثة. يركز المؤلف هنا على دور المجالات، مجالات الأزياء بشكل خاص، في التحفيز اللاوعي والمخفي للرغبات الجنسية، مستفيداً في تحليل إعلانات مصورة (في مجلات مشهورة) تبدو عادية للقارئ، مشرحاً عناصر



# صحتك

## كيف يتأثر جسم المرأة بالحمل

إعداد: أمل حجازي

لا شك أن تجربة الحمل تجربة مثيرة ومقلقة لكثير من النساء، خاصة إذا كانت أول تجربة لهن، ولا شك أن لهن الحق في ذلك. فعلى مدار هذه الفترة، تحتاج المرأة إلى طرق عناية خاصة لا عهد لها بها، سواء من حيث المأكول أو الملابس أو النوم وغير ذلك، إلى جانب العناية الطبية المنتظمة. وعند تقدم الحمل، واقترب موعد الولادة، يزداد القلق والإثارة، نظراً لما يدور بذهن الحامل من توقعات وافتراسات ترتبط بما ينتظرها من أحداث.

ومع حدوث الحمل يطرأ على أجهزة الجسم المختلفة بعض التغيرات الوظيفية، والتي هي في الحقيقة نتيجة لتكيف الجسم مع حدوث الحمل، ومن أبرز هذه التغيرات ما يلي:

الدم والأوعية الدموية والقلب: مع بدء الحمل قد يحدث بطء بالدورة الدموية، وبالتالي انخفاض في ضغط الدم، ما يؤدي إلى الشكوى من التعب السريع والدوخة خلال الأسابيع الأولى، ومع مرور الوقت يكيف الجسم نفسه، ويبدأ حدوث زيادة تدريجية في حجم الدم قد تصل إلى حوالي ٣٠-٥٠٪، ما يؤدي إلى زيادة تدفق الدم في الأوعية الدموية خاصة القريبة من سطح الجلد ما يشعر الحامل بالدفء والحرارة. وبحلول الشهر السابع تقريباً، يزيد حجم القلب

بدرجة ملحوظة، وبالتالي تزيد قدرته على ضخ الدم بحوالي ٤٠٪ للتكيف مع زيادة العبء الواقع على الجسم مع تقدم الحمل، إلا أن ذلك لا يحدث تغيرات في النبض. ونتيجة لزيادة حجم الرحم فإنه قد يحدث ضغط على الأوعية الدموية بأعلى الفخذين، وأسفل البطن مما يؤدي إلى ركود تيار الدم بأوردة الساقين، وحدث تمدد وبروز لهذه الأوردة، وهو ما يعرف بدوالي الساقين، لكن هذه الحالة تزول بعد الولادة تدريجياً.

الرئتان: يتسبب الحمل نتيجة للتغيرات الهرمونية المصاحبة له في حدوث زيادة في معدل التنفس، فتستقبل الرئتان كمية من الهواء تزيد بحوالي ٤٠٪ على المعدل العادي. كما يؤدي ازدياد حجم البطن، خاصة في الشهور الأخيرة، إلى الضغط على منطقة أسفل الظهر، وبالتالي حدوث نوع من الإعاقة لعملية التنفس، ما يجعل الحامل تشكو أحياناً من صعوبة التنفس.

الجهاز الهضمي: يتسبب الحمل عادة وبفعل التغيرات الهرمونية المصاحبة له، في حدوث بطء أو كسل في نشاط الجهاز الهضمي، ما قد يتسبب ببعض المتاعب الشائعة مثل عسر الهضم، وقد يحدث ضغط على المعدة في الشهور الأخيرة من الحمل بسبب تضخم الرحم، ما يقلل من قدرتها على استيعاب الطعام.

الرحم: وهو الجزء الذي ينمو داخله الجنين، وهو أشبه بحقيبة من العضلات، وقد وجد أن الرحم يزيد بفعل حدوث الحمل إلى حوالي خمسة أمثال أو أكثر، ويزيد وزنه من ٥٠ غراماً إلى حوالي ٩٠٠ غرام، لكنه بانتهاء فترة الحمل تنكمش عضلات الرحم تدريجياً بعد الولادة ليعود على حجمه الطبيعي.

الأربطة: خلال فترة الحمل، يحدث عادة بفعل التغيرات الهرمونية ارتخاء للأربطة، خاصة في منطقة الحوض، ومنها الأربطة المتصلة بالرحم والمثبتة له، ويستمر هذا الارتخاء حوالي ثلاثة إلى خمسة أشهر بعد الولادة. ولذلك فإنه من الشائع حدوث شكوى من ألم الظهر نتيجة لضعف تحمل هذه الأربطة للحركات العادية كالنثني أو الشد، بالإضافة إلى ميل العمود الفقري للوراء بسبب تقدم البطن للأمام، ما يزيد من العبء الواقع على الأربطة المتصلة بمنطقة أسفل الظهر.

المثانة البولية والكلية: وجد أن سعة الكلية للبول تزيد خلال فترة الحمل، ولذلك فإنه في بداية الحمل وقيل أن يتكيف الجسم مع ذلك التغير تظهر الحاجة إلى كثرة التبول. لكن في الأسابيع الأخيرة من الحمل قد يرجع سبب كثرة التبول إلى حدوث ضغط على المثانة البولية بسبب تضخم الرحم.

عضلات الساقين: خلال فترة الحمل تقوى عضلات الساقين والفخذين بعض الشيء لتستطيع تحمل الوزن الزائد للجسم. وقد تظهر الشكوى من تقلص عضلات الساقين ربما لحدوث ضعف في الدورة الدموية في الساقين.

قائلة ما هذه المدارس!! تحدثنا عن زواجها المميز وفساتينها السبعة، كما درجت العادة في حيفا، احتفال في كل ليلة بالعرس وكل ليلة لها فستان بلون أحمر أخضر أبيض.. الخ ظلت تقص لنا تفاصيل الحكاية حتى لحظة موتها. ذكرة أمي بقيت مثبتة على الحياة في حيفا والقدس الغربية وعلى أيام النكبة السوداء رغم إصابتها بمرض فقدان الذاكرة الزهايمر. الزهايمر أتى على أجزاء الذاكرة في حياتها خارج فلسطين ولم يقو على اقتحام الجزء الخاص بالحياة في فلسطين. فوجئت عندما طلبت مني قبل وفاتها بقليل أن أتى بتلك الفساتين من بيتها في حيفا! كانت مقتنعة أن الفساتين مازالت معلقة في خزانة الثياب في منزل جدي في حيفا! وأذكر اني ذهبت الى حيفا في رحلة عمل عام ١٩٩٨ وحرصت أن أذهب الى بيت جدي مع صديقاتي، ذهبتنا فعلاً إلى البيت لكننا لم ندخله، تردنا وأرجأنا المحاولة إلى زيارة أخرى. تأملت بنوع من التركيز الحديقة المحاذية «لبينتنا» وكانت دموي تنهمر وتؤجج مشاعري، كنت في تلك اللحظة المؤلمة أشعر أن لي بيتاً هنا في حيفا، ذكرة أمي وأبي وخالاتي وجدي وأعمامي، سعادة أمي.

كانت أمي تخاطب المرحومة جدتي (والدتها) وهي في الهزيع الأخير، كانتا في رحلة العودة الأخيرة إلى حيفا وهي تعيش آخر لحظات حياتها في رام الله. لقد محت أمي من ذاكرتها كل حياة اللجوء، سحبت اعترافها بالحياة خارج مكانها، وعندما فاضت روحها فلننتها فرقت وعادت أدرجها إلى حيفا! كم عذبتني رغبتها الأخيرة!

روايات الأمهات والجندات جسدت التواصل بين الذاكرة والحلم والحاضر المتبسط المتناقض. فلدى جيل النكبة الأول كم هائل من الروايات المبعثرة التي تشكل نسيجاً رائعاً من حيوات جمعية معاشة، روايات تشبه فسيفساء بالوان وجنكات تشكل كلها المشهد الفلسطيني في زمان ومكان النكبة المنتشر في كل فضاء.

تتضاعف اليوم أهمية تسجيل التجربة التاريخية الفلسطينية، خاصة أن جيل النكبة يتناقص في كل يوم بالموت، ثمة حاجة لشروع طوارئ بدون الحكايات قبل فوات الاوان، وخاصة حكاية النساء التي تتعرض للاهمال. وهنا توضح د. روز ماري صايغ أسباب هذا الإهمال بكونه جزءاً من إهمال التاريخ المدون للجماعات المستنثة من المعرفة والثقافة العالية والسلطة. وبما أن المرأة هي الأقل تعليماً والأقل وصولاً إلى السلطة ومراكز صنع القرار فهي التي تهتمش رواياتها كما تستبعد معرفتها الواسعة التي تعلمتها من الحياة.

آن الاوان أن نهتم بإعادة صياغة التاريخ بمشاركة النساء بشكل مستقل وليس عبر أزواجهن أو أولادهن، حتى تكتمل الصورة، علينا أن نتعلم كيف ننق بالمرأة وقدراتها، لقد أوضحت الأمثلة والتجارب النسوية الموثقة كما في رواية الياس خوري «باب الشمس» الدور الحيوي للنساء في التكيف مع الأوضاع الصعبة وفي الصمود.

## هموم عادية!!!

بقلم: عفاف يوسف

## لا مقاعد للكوبيتيات

" أهلاً بالشعب الذي رفض حكم ربوات البيوت واختار الرجال وأعطى للنساء الحق الذي يستحقونه هل انتهى الرجال من العالم العربي حتى تمثلنا النساء الضعيفات المائلات الذي خلقوا من ضلع أعوج ". ابن الصومال.

" الحمد لله أن المرأة لم تصل إلى المجلس لأن مكانها هو البيت وعملها هو إخراج الأجيال ". خليل الفلسطيني. الأخطاء اللغوية من المصدر وآثرت إبقائها كما هي للأمانة.

هذه المقتطفات وردت في التعليقات على خبر فشل المرأة الكويتية للمرة الثانية في الوصول إلى مجلس الأمة الكويتي، الذي جرت انتخاباته قبل أيام، ولم تستطع أي من النساء المرشحات الـ ٢٨ الفوز، رغم أن المرشحة أسيل العوضي أقوى المرشحات، حصلت على عدد كبير من الأصوات في الدائرة الثالثة، وجاء ترتيبها مباشرة بعد المرشح العاشر الذي نجح، لأن نصيب الدائرة فقط ١٠ نواب.

في فترة الخمسينات قامت مجموعة من نساء الأسر العريقة في الكويت بحرق عباواتهن، إيداناً بولادة المرأة الكويتية الحديثة. ورغم التطور الكبير الذي شهدته الكويت اقتصادياً وعمرانياً بعد تدفق أموال النفط عليها، فهي الدولة التي تملك عشر احتياطي العالم من النفط، وعندما تعرضت للغزو العراقي تحالفت أكثر من ثلاثين دولة للدفاع عنها، ليس حبا فيها بالتأكيد، بل خوفاً من استيلاء العراق على منابع النفط الكويتية.

في ذات الوقت تعتبر نسبة تعليم الإناث في الكويت من أعلى النسب في العالم، ونسبة مشاركة النساء في العمل أيضاً نسبة عالية، ووصلت النساء إلى مواقع قيادية هامة، إلا أن ذلك كله لم يعكس على المرأة الكويتية باتجاه نيلها لحقوقها السياسية في الانتخاب والترشيح، حتى قبل ٣ سنوات بعد صراع طويل مع مجلس الأمة الكويتي، في عام ١٩٩٩ وأثناء اجتماع لمجلس الوزراء الكويتي، أعرب الأمير السابق للكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح، عن رغبته في منح المرأة الكويتية كامل حقوقها السياسية في الانتخاب والترشيح للبرلمان، وتقرر عرض مشروع القانون على مجلس الأمة، إلا أن مجلس الأمة رفض الموضوع جملة وتفصيلاً.

في تشرين أول من عام ٢٠٠٣، تقدمت لجنة برئاسة نائب رئيس الوزراء بمرسوم مماثل، لكن مجلس الأمة لم يصادق عليه.

بداية عام ٢٠٠٥ طرحت الحكومة مشروع تعديل قانون المجلس البلدي، بما يسمح للمرأة بالمشاركة في الانتخابات، لكن مجلس الأمة رفض التعديل في ٧ آذار ٢٠٠٥. في ١٩ نيسان ٢٠٠٥ أعيد طرح المشروع، وبعد ثلاث قراءات تمت الموافقة عليه بأغلبية ضئيلة، وأقر تعديل ينص على أن " للمرأة حق الترشيح والانتخاب والتعيين في عضوية المجلس البلدي "، وكان ذلك بتاريخ ١٦ أيار ٢٠٠٥.

ترشحت النساء لانتخابات المجالس البلدية التي جرت في ٢ حزيران ٢٠٠٥ ولكن لم تحظ أي امرأة بالفوز.

وفي انتخابات مجلس الأمة عام ٢٠٠٦ ترشحت ٢٨ امرأة من أصل ٤٩ مرشحاً ولم تصل أي منهن للمجلس النيابي.

ورغم أن الدكتورة معصومة مبارك كانت أول وزيرة خليجية، وأول امرأة كويتية تدخل مجلس الأمة، إلا أنها لم تدخله كعضو برلمان، وإنما كوزيرة، ولكنها اضطرت لاحقاً لتقديم استقالتها من الحكومة، بسبب اندلاع حريق في أحد المستشفيات، وكونها وزيرة للصحة تحملت المسؤولية الأخلاقية عن الحادث، وانسحبت من الحكومة. تكرر الأمر نفسه في انتخابات عام ٢٠٠٨، حيث قامت ٢٧ امرأة بترشيح أنفسهن من أصل ٣٧٩ مرشحاً للمجلس، إلا أن قائمة الفائزين التي أعلنت يوم الأحد ١٨-٥-٢٠٠٨، لم تضم أي امرأة.

ربما كان وضع المرأة الكويتية صعباً، ولا زالت تجربتها في حوض الانتخابات حديثة العهد، لكن نتائج الانتخابات أظهرت أمرين الأول: ميل الناخبين لإنجاح المتدينين السلفيين، الذين حققوا فوزاً كبيراً أكثر من المرة السابقة. والثاني: إن الإقبال النسوي على الانتخابات كان ضعيفاً، حيث لم تشارك سوى نصف النساء في الانتخابات، رغم أن النساء يشكلن ٥٥.٤٪ من إجمالي عدد الناخبين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدو أن النساء الكويتيات لا زلن لا يؤمنن بأهمية حق المرأة في الوصول إلى مجلس الأمة، لأن من الواضح أن النساء لم ينتخبن امرأة، وإلا لكانت واحدة على الأقل فازت بأحد المقاعد.

الوضع في الكويت لا يختلف عن الوضع في فلسطين، فلا زال المجتمع بشكل عام، والنساء بشكل خاص، لا يؤمنان بقدرة المرأة على تولي المناصب القيادية، السياسية منها خاصة، ففي الانتخابات الأخيرة في فلسطين، لو لم يتم اعتماد مبدأ التمييز الإيجابي للنساء، لما حصلن على أي مقعد، والدليل على ذلك أن النساء اللواتي فزن كن مدرجات على القوائم الحزبية ضمن نظام الكوتا، أما في الدوائر حيث لم يعتمد مبدأ الكوتا فلم تفز أي امرأة.

itaf1957@yahoo.com

## لاتصال أو للمراسلة

تطبع في مطابع الأيام

المشرف العام: روز شوملي مصبح  
الحرر المسؤول: لبنى الأشقر

شارع الإرسال - مركز عواد

ص.ب: ٢١٩٧ رام الله

هاتف: ٢٩٨٦٤٩٧ - فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦

بريد الكتروني: (wac\_\_media@palnet.com)

الأراء الواردة في الصحيفة تعبر عن رأي أصحابها

تصدر صحيفة صوت النساء بتمويل كامل من مؤسسة كونراد اديناور الألمانية.

■ إيماناً من مؤسسة كونراد اديناور بحرية الرأي والتعبير والحق في حرية الحصول على المعلومات، فإن ما يرد في صحيفة صوت النساء لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المؤسسة أو يتفق معها. والمؤسسة تعتبر غير مسؤولة عن كل ما ينشر في صحيفة صوت النساء.

Sawt al- Nissa' is fully funded by Konrad Adenauer Stiftung (KAS) Ramallah  
■ Based on KAS's belief of freedom of opinion and expression and the right of freedom of receiving information, what ever published in Sawt al- Nissa' does not necessarily reflect KAS's opinion and is not necessarily agreed upon. Therefore KAS is not responsible for what is published in Sawt al-Nissa'.

Konrad Adenauer Stiftung